



روايات مصرية للجيب -



من أجلك



www.3lib.net
www.3lib.org
www.3lib.com

التاسعة
الزوجة العربية العداينة
الطبع والنشر والتوزيع
المنشور سنة ١٩٨٤م الموافق ٢٠٠٣م



المؤلف



د. نيل فاروق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

من أجلك

وجدت (ريم) نفسها فجأة أرملة ثرية في
الثانية والعشرين من عمرها .. ولكن الشرط
الوحيد لاستمرار ثروتها هو بقاها دون زواج ..
عاشت حياتها دون أن يقلقها هذا حتى التقت
بـ (أحمد) ، ونسج الحب لونه الوردى حولهما ..
هنا كان عليها أن تختار بين الغراء ،
والحب .. عليها أن تتخذ قرارها في
حزم .. فإما أن تحتفظ بثرائها ،
أو تفقد كل شيء ، من أجلك

o o o

التمن في مصر

وما يعادل دولاراً أمريكياً في سائر الدول العربية والعالم

« أنا (عبد الحميد سالم الدمهورى) ، متمتعاً بكامل قواى العقلية ، ومستخدماً حقوقى الشرعية ، أوصى بأن تحصل زوجتى السيدة (ريهام فتح الله) على فوائده ورابع ثلث ثروتى وقدره مليون جنيه مصرى ، بالإضافة إلى القبلا التى أقننا فيها منذ زواجنا ، بشرط واحد هو ألا تتزوج من بعدى ، وفى حالة زواجها يتوقف حصولها على فوائده المبلغ ، ويعود بأكمله إلى أشقائى الثلاثة : (فاضل) و (فتحى) و (فوزية) ، على أن تحصل زوجتى حينذاك على نصيبها الشرعى ، وقدره ثمن الثروة ، مخصوماً منه كل المبالغ التى حصلت عليها من فوائده الثلث و..... » .

التفتت عيون الأشقاء الثلاثة إلى (ريهام) فى حقد لا يخلو من الشماتة ، على حين تعلقت عيناها بشفتى (وجدى صالح) المحامى فى شرود .. لم تستمع إلى باقى الوصية ، كما لم تلتفت إلى تلك النظرات النارية الحاقدة التى تخرق جسدها ..

كانت تعود بذكريتها إلى ماضيها ..

إلى ذلك اليوم الذى ألفت فيه نفسها فى فيلا (عبد الحميد الدمهورى) ..

كان ذلك التعبير هو ما يحلو لها اختياره كلما تذكرت بدايتها مع (عبد الحميد) ..

كانت قد تخطت التاسعة عشرة ببضعة شهور ، حينما وقع عليها بصر (عبد الحميد) لأول مرة ..

يومها كادت عيناه تقفز ان من محجريهما ..

فقد كانت (ريهام) - وما تزال - فاكهة ناضجة شهيبة ..

وجهها مستدير كالقمر ..

عيناها زرقاوان واسعتان فى لون السماء الصافية ، تظللها رموش سوداء طويلة فى حنو وإغراء .

ينبت من بينهما أنف دقيق جميل ، ينتهى فوق شفيتين رقيقتين فى لون الفراولة الطازجة .

بل إن فواكه الأرض لتشعر بالغيرة والحسد والحجل إلى جوارهما .

شعرها الأسود الناعم ينسدل في رقة على أكتافها ،
حيث يبدأ جسدها ...

جسدها الرقيق الضئيل المتناسق ، الذي طالما فجّر
ينابيع الشعر في قلوب شباب حيّتها .

يوم رآها (عبد الحميد) لأول مرة كانت في طريق
العودة إلى منزل أسرتها ، ترتدى زيتها المدرسى الرمادى ،
وتضم حقيبتها إلى صدرها في حنان ، وكأنها تضم حبيباً طال
الشوق إليه ، أو طفلاً أسال حنان القلب بيكائه .

كانت السماء تنعكس في عينيها الزرقاوين ، وكأنما
تغار من صفائهما وبريقهما .

كان ذهنها شاردأ ، وقدماتها تنتقلان في ببطء وهندوء ،
وكانها تحاول إطالة الوقت قبل أن تصل إلى منزلها ، الذي
يكتظ بإخوتها الخمسة وأبويها .

فهناك تبدأ رحلة المشقة .

حيث تعاون أمها في تنظيف المنزل ، ورعاية
الصغار ، ويتفجر دوماً سيل من المشاجرات والمشاحنات ،
ينتهى عادة بصراخ والدها ، وبصوت كفه وهو ينهال
في صفعات غاضبة على ظهر شقيقتها أو وجه شقيقتها ،

ثم يسود المنزل جوّاً من التوتر الحزين ، يستمر حتى يأوى
الجميع إلى فراشهم .

كانت تكبر أشقاءها بسنوات عدة ، نشأت من
إنجابها مع أول سنوات زواج والديها ، ثم توقفتها عن
الإنجاب طويلاً ، حتى استقر المقام بوالدها في القاهرة .

لهذا كان شعورها نحو أشقائها أقرب إلى شعور الأم
منه إلى شعور الأخت الكبرى .

وأورثها هذا شعوراً جارفاً بالوحدة .

فأبوها بعيد عنها بمشاكل عمله ، وتدير معيشته ومعيشة
أسرته .

وأما نائبة عنها بسذاجتها وطيبتها التي لم تعرك الحياة ،
ولم يهذبها التعليم .

وأشقاؤها في واد آخر يفرضه فارق السن بينهم .

كانت العودة إلى المنزل هي آخر ما تتمناه (ريهام)
وتأمله ، كانت تشعر هناك بالإحباط والقلق والقهر ،
ولطالما اختلست بعض الوقت لتأمل في ضيق وحسرة
أولئك الفتيات ، اللاتي يقطعن الطريق في ثيابهن الغالية
الأنيقة ، أو ينطلقن بسياراتهن في خيلاء .

لم يكن بارعات الحسن مثلها .. ولكنهن كن
أكثر ثراء .

ولم تكن هي فقيرة .. ولكنها لم تكن ثرية .

فوالدها الطيب القلب كان موظفاً كبيراً ، يحتل مركزاً
مرموقاً في أحد الدوائر الحكومية ، يحرص دائماً على
أناقته ، برغم الحلتين الوحيدتين اللتين يمتلكهما ، واللتين
يحرص على نظافتهما والعناية بهما دائماً .. ربما لأنه يعلم أن
مرتبه الحكومي لن يسمح له بالحصول على ثلاثة قبل وقت
طويل ، هذا لو أنه نجح في ادخار ثمنها بعد الإنفاق على
سنة أبناء ، ومنزل كبير ، ومتطلبات لا تنتهي .

صحيح أنه يذهب إلى عمله ، ويعود منه دائماً في سيارة
فارهة ، تحمل أرقاماً حكومية ، ولكنه لم يكن يستطيع ادخار
ثمن الوقود الذي تستهلكه مهما حاول ، وكان هذا العجز
في ميزانية المنزل ، ومتطلبات المحافظة على المظهر العام ،
يجبران (ريهام) دائماً على ارتداء ثياب رخيصة الثمن ،
تناسب والقدر المخصص لها من مرتب والدها .

كان جمالها الفتان ينجح في حجب حقيقة ثيابها عن
الفتيان من جيرانها ، ولكنه أبداً لم ينجح في حجب هذا

عن الفتيات من زميلاتها وجاراتها .. بل إن الحسد الذي
يطل من عيونهن وهن يتطلعن إلى جمالها كان مبرراً كافياً
ليسخرن من رقة حال ثيابها .

لهذا كانت (ريهام) دائماً وحيدة منطوية ، تعيش في
منزلها صامتة مطيعة ، كما لو كانت تعيش في ملجأ للأيتام ،
لا بين أبويها وأشقائها ، منطوية بين زميلاتها في المدرسة ،
لا تختلط بهن ، ولا تصادقهن ، لم تكن تصادق سوى
كتبها ، والروايات العاطفية التي تقرؤها خلصة في شرفة
المنزل ، بعد أن يأوى والدها إلى فراشهما ، ويغلب النوم
أشقاءها .

كانت الكتب هي ملاذها الوحيد ، فيها تجد السلوى ،
والخيال ، والحب .. وفي كل رواية عاطفية تقرؤها كانت
هي البطلة ، بكل مشاعرها وأحاسيسها .. تبكي في لوحة
حيناً تفترق بطلة الرواية عن حبيبها ، وتضحك في سعادة
حين يلتقيان .

تشكل ملاحظتها في أثناء القراءة بكل الانفعالات التي
تراود البطلة ، فتزوي ما بين حاجبيها ، وتبتسم في حب

وحنان ، وتغضب ، وتفرح مع كل انفعال يراود بطلا
الرواية .

هكذا كانت تعيش قبل أن يقع عليها بصر
(عبد الحميد) .

يومها كانت تسير في بطاء ، وتسرح بأفكارها مع
بطلات الروايات ، عندما رأت أمامها (عبد الحميد)
بجسده البدين ، ورأسه الأصلع ، وشاربه الرفيع ، وعينه
الذين تطل منهما الشهوة والرغبة وهو يتطلع إلى جسدها .
كان جمالها الخارق قد أسال لعابه حتى خيل إليه أن
الملائكة قد أرسلتها إلى الأرض مندوبة فوق العادة لاختبار
قدرات البشر على الصمود أمام الفتنة والإغراء .

كان يتطلع إليها في اشتهاة وقحة حتى أنها توقفت
عن المشي ، وتطلعت إليه في مزيج من الدهشة والخوف ،
وزادت من ضم ذراعيها على حقيبتها ، وكأنها تحتمي بها
من هذه النظرات .

كانت قد اعتادت نظرات الإعجاب والرغبة ، وتشعر
معهها بمزيج عجيب من الفخر ، والسعادة ، والحجل ،
ولكنها أبداً لم تقابل مثل هذه النظرة ...

نفضت خوفها ودهشتها دفعة واحدة ، وأسرعت
تطيل خطواتها ، وتبتعد عن (عبد الحميد) ، وارتحف
قلبا في قوة حينما عبرت إلى جواره ، وشعرت بقلبا
يخفق بين ضلوعها حينما سمعته يتهد في قوة ، حتى أن
أنفاسه الحارة قد لفحت وجهها وعنقها ، ونحولت
خطواتها إلى ما يشبه العدو ، وأسرعت ترقى سلالم منزلها
في وجل ، وظل قلبها يختلج حتى بعد أن بدلت ثيابها ،
وبدأت تعاون أمها في أعمال المنزل .

أما (عبد الحميد) الذي اعتاد الحصول على كل
ما يريد بسبب ثرائه الفاحش ، فقد هتف يومها بأنه
يريد هذا الملاك ، وتابعها ببصره ، حتى رآها تصعد سلالم
منزلها ، وبمبلغ صغير لا يتجاوز الجنيهات الخمسة حصل
على كل ما يريد معرفته عنها من بواب المهارة ، وقرر أن
يحصل عليها .

لم تدر هي شيئاً عن رغبته هذه إلا في اليوم التالي ،
حينما توقفت أمام العمارة سيارة فارمة ، من النوع الذي
يتجاوز ثمنه عشرات الألوف من الجنيهات ، وحينما طرق
(عبد الحميد) باب منزلها ، مرتدياً حلة باهظة الثمن ،

تفوح منه رائحة عطر ثمين ، عبق جو المنزل عن آخره
برائحة الثراء . وفي بساطة وثقة طلب (عبد الحميد) يدها
للزواج ، وهو يجلس إلى جوار نل الهدايا الفاخرة ، التي
أحضرها لكل أفراد الأسرة .

يومها عرض والدها الأمر عليها وهو يتوقع رفضها
بما لا يقبل الشك ، فلم يكن يتصور أن تزوج فراشته
الرفيقة رجلاً فظاً مثل (عبد الحميد الدمهورى) ، برغم
ما يتمتع به من ثراء فاحش ، ولكنها يومئذ لم تر ملامح
(عبد الحميد) الغليظة ، ولا كرشه المتهدل ، ولم تنتبه إلى
أسلوبه السوقى فى الحديث ، كل ما رآته فى (عبد الحميد
الدمهورى) هو أحلام الثراء ، والثياب الفاخرة ،
والسيارة الفارهة ...

رأت فيه فقط ما أرادت أن تراه ، وما تحلم به منذ
طفولتها .
رأت فيه الأمل فى الهروب من شقاء المنزل ، ومتاعب
الأشقاء ...
رأت فيه الثروة القادرة على إبراز جمالها النادر ...
ووافقت ...

وافقت برغم دهشة والدها والدموع فى عيني والدتها ..
وافقت وهى تعيش حليماً جميلاً كبطلات الروايات ..
ولكن هذا الحلم تحطم دفعة واحدة بعد زفافها إلى
(عبد الحميد) ..

حزناً كان ثرياً ، وثروته تقلد بالملايين ، ولكنه كان
شحيحاً ، أنانياً ، لا يمنحها قرشاً واحداً إلا بعد آلاف
الأسئلة عن حاجتها للمال ، وطرق إنفاقها له ..
وبعد محاضرات قاسية عن ضرورة الاقتصاد والتوفير
مهما بلغ ثراء المرء ..

وجدت نفسها بعد الزواج أكثر فقراً مما مضى ..
فوالدها على الرغم من دخله المحدود كان يحاول
إسعادها بكل الوسائل ..

أما زوجها ، فعلى الرغم من ثرائه الفاحش فإنه لا يهتم
بها مطلقاً ..

كانت بالنسبة إليه نزوة فقدت بريقها بعد أن امتلكها
بين يديه ..

وكان أشقاؤه الثلاثة يعاملونها فى تجاهل واحتقار ، كما
لو كانت عدواً يحاول انتزاع شقيقهم الثرى منهم ..

وكم كانت مساعدهم وشماتهم حينما مرّ عام كامل على
الزواج دون أن تنجب ، وبدءوا في إشعال نار الفتنة بينها
وبين شقيقهم ، حتى بدأ يعاملها في خشونة ، وإهمال ،
طوال العام الثاني من الزواج ، إلى أن سقط صريع المرض ،
وأخذت حالته تزداد تدهوراً برغم المبالغ الباهظة التي
أنفقتها للعلاج ، ولكنها ظلت إلى جواره كالمرضة ،
تسهر طوال الليل لتعطيه أدويته في مواعيدها ، وتعاونه
فيما يطلب ، ويرغب ، وشعرت أيامها بالصراع العنيف
الذي يدور في أعماقه ، وهو يحاول التوفيق بين المخاوف
التي زرعتها أشقاؤه في قلبه ، عن زواجها من بعده ،
وتمتعها بثروته ، وبين التفاني الذي يراه في معاونتها له ،
ورعايتها الحنون ...

وأخيراً انتصر المرض ، وانتقل (عبد الحميد) إلى
جوار ربه ، وترك هذه الوصية التي تحقق التوازن بين
مخاوفه ورغبته ، فها هو ذا يمنحها دخلاً محترماً طيلة
عمرها على شرط ألا تزوج ، وعليها أن تختار بين العيش
في ثراء ، أو الزواج ..

شعرت أنه ظل أنانياً حتى بعد وفاته ...

وظل شجيباً حتى في وصيته ..

وتبخرت أفكارها وذكرياتها دفعة واحدة ، حينما
وضعت (فوزية) يدها على كتفها ، وسألها في شماته :
- ماذا قررت يا أرملة أخي العزيز ؟
وجدت نفسها تهتف فجأة في تحد وعناد :
- سأعيش ..



ذاقت (ريهام) طعم الثراء للمرة الأولى في عمرها ..
انغمست فيه من قمة رأسها حتى أخمص قدميها .. وانتقل
هذا المذاق إلى أسرتها ، التي انتقلت لتعيش معها في الفيلا
الضخمة التي تركها لها (عبد الحميد) ، وتمتع والداها
وأشقاؤها بالبذخ الهائل ، الذي قررت أن تحيط حياتها
به ...

حطمت في البداية كل القيود والأسوار التي أقامها
حولها (عبد الحميد) في حياته ، وكان أول ما فعلته هو
تعلم قيادة السيارات ، وشراء أكثر من سيارة فاخرة ،
تشبه أقلها ما كان يراود أحلامها في الماضي ، وأنفقت
الآلاف في شراء ثياب أنيقة غالية الثمن ، يستورد بعضها
خصيصاً من أجلها من أرقى متاجر (باريس) ، وتقدمت
بطلب عضوية في أرقى نوادي القاهرة ، وأحاطت نفسها
بعدد كبير من الأصدقاء والصدقات من أبناء الطبقة
الثرية ، لم تكن تميل إلى استخدام مصطلح (الطبقة
الراقية) ، بل كانت تفضل إطلاق لقب (الطبقة الثرية)

على أصدقائها وصدقاتها ، ربما لأن أساليهم وأفعالهم
لم تكن تقترب من الرقى الذي تتصوره هي ، وإنما كانت
تعبّر دائماً عن الثراء السهل ، والرعونة البالغة ...
حطمت (ريهام) كل القيود والأسوار ، ولكنها
ظلت تحتفظ بشعور الوحدة ..

فصحيح أن أسرتها تعيش معها في مكان واحد ،
ولكنهم لم يعودوا يعاملونها كابنة وشقيقة ، بل كصاحبة
الثراء الذي ينعمون به ، وربة النعمة التي يتمرغون فيها ..
لم يكن أحدهم يعترض على مطالبها وآرائها ..
صارت هي صاحبة الكلمة الأولى في الفيلا برغم سنوات
عمرها التي لم تتعد الثانية والعشرين ..

انزوى والدها مكتفياً بمتابعة برامج التليفزيون ،
والصلاة ، وتناول الوجبات في مواعيدها المنتظمة
كالساعة ، وأخذ يقضي معظم الوقت في الفيلا ، داخل
جلبابه الأبيض البسيط ، على الرغم من عشرات الحلل
التي أهدتها إليه ، لتعوضه عن حرمان السنوات الماضية ،
ولكنه لسبب لم تفهمه كان يفضل ارتداء حلتيه القديمتين ،

اللتين مازال يحرص على نظافتها، والعناية بهما كلما فكر في الخروج ، أو الذهاب إلى العمل ..

وأما ما زالت تصر على المعاونة في تنظيف الفيلا وترتيبها ، متجاهلة ذلك العدد الكبير من الخدم ، الذين يتقاضون مرتبات باهظة لهذا المقابل وحده ، وكثيراً ما ثارت (ريهام) في وجهها ، واتهمتها بأنها تكره الثراء وتحب الفقر ، وكانت الأم الطيبة - حينئذ - تكتفي بالانكماش في مقعدها كطفل صغير ضبطه والده متلبساً بخطأ ما ، أو تمصص شفيتها ، وتتحسر على حياتهم السابقة في منزلهم القديم ، الذي أصرت على الاحتفاظ به بعد إقامتهم في الفيلا الخاصة بـ (ريهام) .

أما أشقاؤها فهم يتحاشونها دائماً ، ولا يتبادلون معها إلا الضروري من الكلمات ، حتى عندما يحتاج أحدهم إلى بعض المال ، فهو يطلبه منها على خجل واستحياء ، لم يتلاش برغم بذخها الشديد في تغطية متطلباتهم ...

كانت تشعر أنها أصبحت أكثر وحدة من ذي قبل ، وأكثر يتماً ..

حتى أصدقاؤها وصديقاتها في النادي ، وفي حفلاتها المنزلية ، كانوا أكثر خواء وتفاهة ، ولم يكن لهم من هم سوى الحديث عن أحدث موديلات الثياب ، ومُطرز السيارات ، ونوادهم الجامعية .. وهذا الحديث الأخير بالذات كان يمزق شيئاً ما في أعماقها .. فقد أصر (عبد الحميد) قبل الزفاف على ألا تواصل بحثها عن العلم ، على الرغم من حصولها على مجموع متفوق في الثانوية العامة ، ويومها رضخت لرغبته ، بل لكل رغباته حتى لا تفقد ثروته وجاهه ..

كانت تعاني في الماضي عقدة واحدة .. وأصبحت تعاني الآن عشرات العقد النفسية ..

وازداد التصاقها بالكتب والروايات العاطفية ، حتى أصبحت صديقها الوحيد ، وملاذها الدائم المنفرد ، الذي ينطلق فيه خيالها ، وتتأجج معه عواطفها إلى العالم الذي ما زالت تحلم به بعد كل هذا الثراء ..

وفي أثناء واحدة من الجلسات النادرة مع النفس ، والتي يعترف فيها الإنسان أمام نفسه بكل نواقصه وعيوبه ،

اتخذت قراراً جديداً جريئاً .. قررت ان توصل دراستها ،
وتلتحق بالجامعة ..

يومها انتظرت والدها حتى انتهائه من أداء صلاة
العشاء ، ثم جلست إلى جواره ، وقالت في هدوء :
- لقد قررت أن ألتحق بالجامعة هذا العام .

أشاح بوجهه ، وكأنه يتحاشى مواجهتها ، ونغم في
صوت خفيض :

- على بركة الله .

عادت تسأله وكأنها تصرّ على أن يكون له شأن في

قرارها :

- أية كلية تظن أنها أكثر ملاءمة لي ؟

حدّق في وجهها بعينين خاليتين من أى تعبير ، ونغم

في هدوء :

- التي ترينها أنت مناسبة ..

شعرت ببعض الغضب في أعماقها من رفضه المشاركة

في هذا القرار المصيرى ، الذى اتخذته بعد تفكير طويل ،

فقال في صوت لم يخجل من نبرات الحدة :

- ألا تفضل كلية بذاتها ؟

عاد يُشيع بوجهه وكأنه يرفض أسلوب حديثها معه ،
مغمماً :

- هذا قرارك وحدك يا بنيتى .

مضت فترة ثقيلة من الصمت ، ثم نهضت وهى

تقول في استسلام :

- سألتحق بكلية الآداب .

همهم دون أن يلتفت إليها :

- فليفعل الله - سبحانه وتعالى - ما فيه الخير .

ظلت واقفة تتأمله لحظات ، وتمنت لو أنه مارس

دوره كأب ، وأرشدتها إلى الطريق الذى يراه صحيحاً ،

حتى ولو كان يخالف رغبتها في دراسة الأدب ، إلا أن

الأب اكتفى بترديد بعض الآيات القرآنية بصوت خافت

وكانه يعلن انتهاء الحديث بينهما ، فاستدارت في غضب ،

وغادرت غرفته وقد ازدادت إصراراً على تنفيذ قرارها ..

انتهى كل شئ في سهولة ويسر لم تتوقعهما ، وساعدها

مجموعها المرتفع في الثانوية العامة ، وأخيراً وجدت نفسها

مقيدة بالصف الأول بين طلاب كلية آداب القاهرة ..

كانت سعيدة للغاية ، وفخورة حتى أنها أخبرت
الجميع بما فعلته ، ولدهشتها قابلتها العيون بمزيج من
الدهشة والسخرية وعدم التصديق ، بل إن إحدى
صديقاتها سألتها في بساطة لا تخلو من العجب في أثناء
إحدى جلساتهم الفارغة في حديقة النادي :
- لماذا ترغبن في مواصلة الدراسة وأنت تتمتعين
بكل هذا الثراء ؟ ..

عشاً حاولت إفهامها أن تحقيق الذات لا يكون
بالأموال فقط ، وأن رغبات الإنسان في التفوق والتطور
لا تقتصر على الثراء وحده ، ولكن العقول الخاوية لم تكن
بقادرة على استيعاب هذا المنطق ، وسرعان ما ملّ الجميع
حديثها المتزن ، وعادوا ينغمسون في حوار طويل ضاحك
عن أحدث الأزياء ، وأسرار النادي ورواده .. وعادت
هي تشعر بمزيد من الوحدة بينهم ، وعاد عقلها يخلق في
عالم الخيال ..

وفي اليوم الأول لبدء العام الجامعي بدت منفصلة
متوترة ، كطالبة تواجه عالم الجامعة لأول مرة ،
وحرصت على انتقاء ثوب أنيق بسيط ، واختارت أصغر

سياراتها للذهاب إلى الجامعة ، ولم تنس والدتها أن تدعو
لها بالتوفيق والنجاح ، وتشعل البخور في القبلا حتى
لا تتعرض ابتها للحسد من زميلاتها في الكلية على جمالها
الفتان ، ومن العجيب أن استقبلت كل هذا بالمرح الذي
لا يخلو من القلق ، ولم تثر كعادتها كلما أقدمت أمها على
عمل من أعمالها التلقائية البسيطة ..

ووصل توترها إلى ذروته وهي تعبر بوابة الكلية ،
ودار بصرها حولها في قلق تتأمل المجموعات التي اشتركت
في أحاديث مرحة ضاحكة ، في اليوم الأول للدراسة ،
والجميع التي ازدحمت حول جداول المحاضرات في
اهتمام .. تأملت الجوانب المختلفة من الحياة الجامعية ، التي
طالما تاقت إليها ، إلى أن توقفت عند ركن يمتلئ بمجلات
الحائط .. عند جزء خاص من هذا الركن حيث احتدم نقاش
لم تتيين منه سوى خليط من الأصوات والاعتراضات ..

وبدون أن تدري قادتها قدمها إلى ذلك الركن ، ربما
لرغبتها الجارفة في الاندماج بالوسط الطلابي الجامعي من
اللحظة الأولى ..

وهناك وقع بصرها عليه للمرة الأولى ، وخفق قلبها
بشكل جديد لم تألفه من قبل ..

لم تكن خفقاته تشبه ما كانت تشعر به وهي تقرأ
الروايات العاطفية ، بل كانت أكثر قوة وارتجافاً ..

وكانت تلك المشاعر العاطفية التي انسلبت في عروقها
من نوع عجيب ، استكانت له خلاياها ، ورقصت له
ضلوعها ..

لم تعد ترى سواه ، بملامحه الوسيمة الجذابة ، وقوامه
الرياضي المشوق ، وعينيه السوداوين ، اللتين تنتقلان
في يسر من محدث إلى آخر ...

حلّق خيالها في فضاء وردى جميل .. كان جسدها
يقف وسط ساحة الكلية ، أما عقلها وقلبها فقد سبحا
وسط حديقة غناء ، تمتلئ بزهور يانعة ، لها أوراق حمراء

كالقلوب .. وسطها زهرة جميلة تحمل وجهه ، الذي
يبتسم ابتسامته الهادئة الجذابة وهو يتطلع إليها في حب ..
توقفت أذناها عن سماع الحديث الدائر ، والمناقشة

المحتدمة ، وانسابت إليهما موسيقى عذبة تعزفها الملائكة
على قيثارة الحب ..

خرجت من أحلامها فجأة حينما التقت عينها بعينه
السوداوين ، وسمعتة يسألها دون أن تفارق ابتسامته
الجذابة وجهه :

— ما رأى الأنسة فيما نقول ؟

تلعثمت وارتبكت ، فتحت فمها لتتلق ، إلا أن
الكلمات احتبست في حلقها ، ووجدت نفسها تسرع الخطأ
مبتعدة ، قلبها يزداد ارتجافاً مع ازدياد سرعة قدميها ،
وخفقاته تنطق عبارة واحدة يهتز لها جسدها :

— هذا هو فارس أحلامي .. هذا هو من أبحث عنه
منذ مولدى .

كانت منذ حداتها ترفض الاعتراف بما يسمونه
(الحب من أول نظرة) ، ولكن اختلاج قلبها وارتعاش
أعماقها أجبرا عقلها على الاستسلام لقلبها ، الذي اعترف
في استحياء أن (ربهام) قد أحبت من النظرة الأولى ..



لم يكن قلب (ريهام) قد توقف عن الرقص طرباً
عندما عادت إلى منزلها في ذلك اليوم ، وبدا طربها
واضحاً وهي تصعد درجات سلم الفيلا قفزاً ، واستقبلتها
والدتها بابتسامة عريضة تفيض بالطيبة والحب ، ولم يخف
عليها ذلك المرح المفاجئ الذي ملأ جنبات ابنتها الكبرى ،
فاحتضنتها في سعادة لا تخلو من القلق وهي تسألها :

— كيف كان يومك الأول في الجامعة يا بنيتي ؟

هتفت في سعادة :

— كان رائعاً يا أماه .

أفلتت من بين أحضان والدتها ، وانطلقت تصعد إلى
حجرة نومها في الطابق الثاني ، وصاحت والدتها خلفها :

— لقد أعددتنا طعام الغداء .

هتفت وهي تلوح بذراعيها في مرح :

— لقد تناولت بعض الشطائر في الكلية ، شكرآيا أماه .
راقبت أمها بنظرات قلقة متسائلة ، حتى اختفت عن

ناظرها ، فغمغت في طيبة :

— فليحفظك الله من كل سوء يا بنيتي .

أما (ريهام) فقد دخلت إلى حجرة نومها ، وأغلقت
الباب خلفها ، ثم ألقت جسدها فوق فراشها الوثير ،
وارتسمت ابتسامة حانية على شفيتها وهي تشرّد ببصرها
بعيداً .. إلى الجامعة .. إلى ركن صحافة الحائط ، حيث
التقت بفارسها هذا الصباح ..

لم تكن تعرف حتى اسمه إلى الآن ، ولكنها رأت فيه
كل أحلامها وعواطفها ... رأت فيه كل أبطال الروايات
التي قرأتها طيلة عمرها .. رأت فيه الأمل والحلم والحب ..

مدت يدها بتلقائية تتناول الرواية العاطفية التي بدأت
في قراءتها أمس ، وحاولت أن تتابع سطورها ، إلا أنها
كشفت أن عقلها قد نسي الجزء الأول من الرواية ، وأن
عينها لا تستطيعان الاستقرار فوق السطور ، فذهنها كله
يسبح معه في حداثق العشق والهيام ، وجنات الحب والحنان ..
ألقت الرواية العاطفية جانباً ، وابتسمت في فخر
وحنان ، فها هي ذى تعيش رواية خاصة ، تحتل فيها دور
البطولة إلى جواره ..

وفجأة استيقظت من أحلامها على حقيقة لم تدر بخلدتها
من قبل ... ماذا لو أنه يجب فتاة أخرى ؟ .. ماذا لو أنه
غارق حتى أذنيه في عشق آخر لا مكان فيه لقلبها ؟
شعرت فجأة بنيران الغيرة تأكل قلبها ، وبحقد شديد
على غريمة مجهولة ليس لها - حتى الآن اسم ولا عنوان ..
شعرت بقلبها ينفطر ، وبنشوتها تتحول إلى كآبة
فاسية انتزعت البهجة من قلبها لتحتله ، وترفع فوقه
علمها الأسود ..

وفجأة انفجرت (ريهام) باكياً .. فاضت دموعها
روى وسادتها بالحزن والأسى .. حزن لا مبرر له ،
وأسى لا تدرى مبعثه ..

نهضت فجأة من فراشها ، وأسرعت تغادر حجرة
نومها ، وكأنها تفر من أحزانها ، واتسعت عينا والدتها
الطيبة دهشة حينما رأت ذلك التبدل العجيب ، الذي
أصاب ابنتها من المرح إلى الاكتئاب ، ولكنها لم تحاول
أن تسألها عن سبب هذا التبدل خشية ثورتها ، كل ما فعلته
من أعماق قلبها المضطرب هو أن سألتها ، حينما رأتها تطلب
إعداد سيارة من سياراتها الفارحة :

- إلى أين يا بنيتي ؟

أجابتها (ريهام) في اقتضاب :

- إلى النادي .

تجرات والدتها على سؤالها مرة أخرى :

- ومتى تعودين ؟

جاءت إجابة (ريهام) حادة وهي تقول .

- وقتها يحلولى .

ثم غادرت الفيلا على عجل ، وخلفها تمتت أمها

في قلق وحزن :

- هداك الله يا بنيتي ، وأرشدك إلى الطريق الصحيح .

أما (ريهام) فقد انطلقت إلى النادي في محاولة

لنسيان الأحزان التي تسيطر على أعماقها ، واستقبلها أصدقاء

النادي بعبارات ساخرة ، يغلفها المرح ، وتبادلوا النوادر

حول يومها الأول في الجامعة ، وحاولت هي أن تشاركهم

مرحهم ، أو تبتمس لدعاباتهم ، ولكنها شعرت فجأة وكأنها

لم تعد تطبق أسلوبهم هذا .. كأنها قد أصبحت تستخفهم

وتضيق بهم ، ويجلساتهم الخاوية الفارغة ..

أصابها الدهشة من ذلك التغيير العجيب الذى
أصابها ، وكأن لقاءها الصغير للغاية معه قد قلب أعماقها
تماماً .. لم تكن قد تبادلت معه سوى ذلك السؤال الذى
وجهه إليها ولم يتلق عنه جواباً ، والذى أسرعت بعده
تفرّ من عينيه السوداوين ، اللتين كانتا وكأنهما تغوصان
فى أعماقها .. ولكن ذلك اللقاء القصير للغاية زرع فى
أعماق قلبها زهرة تتوق للارتواء برحيق الحب والحنان ..
زهرة لم تنبت من قبل فى حديقة قلبها ..

نهضت فى هدوء .. دون أن تلقى التحية على رفاقها ،
وغادرتهم وسط دهشتهم ، التى لم تلبث أن تبددت وهم
يضحكون فى خسواء ، ويعودون إلى تبادل أحاديثهم
الفارغة التافهة .

ظلت تجولُ بسيارتها دون هدف حتى أقبل المساء ،
فعدت إلى الفيلا ، وصعدت إلى حجرة نومها دون تبادل
كلمة واحدة مع أمها القلقة ، وأبيها الذى تابعها ببصره
فى استسلام .

لم تقرأ الروايات العاطفية فى تلك الليلة كعادتها ،
وإنما ظلت يقظة تقلب الأمر على كل الوجوه ، وتتقلب

مشاعرها من دقيقة إلى أخرى ، فيفيض قلبها بالحب
والهيام تارة ، ثم لا يلبث أن يمتلىء بالحزن والغيرة ،
ويعود فيكتسى بالحنان ، ولم يغمض لها جفن حتى أشرق
الصباح .. وظهر ذلك واضحاً فى عينها الناعستين وجفניה
المتورمين وهى تدخل ساحة الكلية فى يومها الثانى ،
وبلا وعى وجدت عينها تبحثان عنه بين الآلاف من
طلاب الجامعة ، فى لهفة ، واشتياق ، وشعرت باليأس
حين لم يقع بصرها عليه وسطهم ، وتراقصت دمعة فى
حديقتهما ، وأسرعت تفتح حقيبتها ، وتناول منديلاً ورقياً
تقتنص به دموعها ، قبل أن تفضحها وهى تنهمر على
وجنتها الورديتين ..

وفجأة ارتجف جسدها ، وسرت فى جسدها رعدة
قوية ، حين سمعت من خلفها صوته الهادئ العميق يقول :
- صباح الخير .

التفتت إليه دفعة واحدة ، حتى كادت أن تتعثر
بحدائثها ذى الكعب العالى ، وأسرع هو يسندها بكفيه ،
وسرت حرارة كفيه فى جسدها ، فازداد ارتعادها وهى
تعتدل ، وتحدّق فى وجهه الباسم الجذاب غير مصدقة ..

خيل إليها برهة أنه لا يقف أمامها حقاً ، وأنها إنما تعيش حلماً جميلاً لن يلبث أن يتلاشى ، وارتسمت الدهشة في ملامحه لحظة ، من الطريقة التي تحدّق فيها بوجهه ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامته العذبة وهو يسألها في هدوء :
- لماذا فررت من مناقشة أمس ؟

فتحت فيها لتتكلم ، ولكنها ارتبكت ، وتلعثمت .. تماماً كما حدث بالأمس ، وشعر هو بتوترها ، فقال وكأنه يبعث الطمأنينة في نفسها :

- أنا (أحمد جلال) .. طالب بالسنة النهائية ، وصاحب مجلة الحائط التي دارت حولها مناقشة أمس ، والتي فررت منها .

ظلت تحدّق في وجهه دون أن تنطق ، فسألها في هدوء :
- ألا ينبغي أن نتعارف أولاً ؟ إنني لم أتعرف اسمك بعد .
- (ريهام) .

قالتها في لهفة ، وكأنها تتعجل تعارفهما ، فاستعت ابتسامته وهو يسألها :
- حسناً يا آنسة (ريهام) .. لماذا فررت من مناقشة

أمس ؟

كانت قد نسيت لقب (آنسة) هذا منذ زواجها
بـ (عبد الحميد) ؛ لذا فقد بدا عجيباً في أذنيها ، حتى أنها رددته في دهشة :
- آنسة ؟ !

تجلى التساؤل في عينيه وهو يفحص أصابعها الخالية من دبلة الخطوبة والزواج ، وسألها في تردد :
- أيضاً يقك اللقب ؟

ابتسمت في مرح وهي تقول :
- الألقاب كلها تضايقتني .

عادت ابتسامته تتسع وهو يسألها في تردد :
- هل تفضلين أن نتحدث دون ألقاب ؟
تأملت عينيه السوداوين لحظة ، ثم همست :
- هذا أفضل يا (أحمد) .

عاد مزيج من الدهشة والتساؤل يطلان من عينيه وهو يقول :

- إنك لم تجيبي عن سؤالى بعد .
استجمعت شجاعتهما ، وسألته في اهتمام :
- ألن يضايق حديثنا المنفرد هذا صديقتك ؟

التي حاجباه وهو يتأملها في دهشة ، هاتفاً :

– صديقتي ؟ !

شعرت بنيران الغيرة تلفحها وهي تقول في حرج :

– كل طالب جامعي له صديقة .. أليس كذلك ؟

اتسعت ابتسامته فجأة ، وخيل إليها أنه قد فهم المغزى وراء سؤالها ، فتخضّب وجهها بحمرة الخجل وهي تسمعه يقول ضاحكاً :

– تقصدين حبيبة ! .. كلا .. هذا ليس ضرورياً ،

فلم تكن لي صديقة أو حبيبة حتى الآن .

لم تشعر (ريهام) في حياتها بسعادة كالتى طافت بها في هذه اللحظة ، فقد تبخرت مخاوفها من الحبيبة المجهولة دفعة واحدة ، ولم يعد بقلها سوى الحب خالياً من الشوائب والمتاعب ، وسيطرت السعادة على عقلها وقلبا وحواسها ، حتى أنها هتفت في فرح دون أن تدري :

– أحقاً ؟ !

ولم تلبث أن شعرت بما تكشفه لفتها ، فتخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وخفضت رأسها تتحاشى عينيه

العميقتين ، ولكن صوته انساب إلى أذنها مفعماً بالعاطفة وهو يهمس :

– أقول حتى الآن ..

رفعت إليه عينها في خجل ، والتقت نظراتهما لحظة واحدة ، قبل أن تعود إلى خفض رأسها في سعادة .. لحظة واحدة اعترف خلالها كل منهما للآخر بمكنون قلبه دون أن يتبادلا كلمة واحدة ..

لحظة واحدة ، شعر خلالها (أحمد) أنه يفرق في بحر عينها الزرقاوين الواسعتين ..

لحظة واحدة ، تخلى خلالها (أحمد) عن إصراره القديم في ألا يتبعه مصيدة الحب في أثناء دراسته الجامعية .

لم يعد يملك هذا الإصرار .. فقد وجد نفسه في لحظة واحدة غارقاً في الحب حتى أذنيه ..

مضت خمس دقائق كاملة ، وهما يقفان أحدهما أمام الآخر في صمت ، هو يتأمل ملامحها .. وهي تخفض وجهها خجلاً ، وقلبا ينتفض في سعادة وحب .. وأخيراً

٤ - الواقع ..

كانت (ريهام) في قمة سعادتها عندما عادت إلى الثيلا في ذلك اليوم .. كان عقلها قد ارتفع إلى عالم الخيال حتى صارت جزءاً منه ..

لم يعد الحب في حياتها خيالا تسبح فيه كل مساء .. بل أصبح واقعاً تعيشه ، وعالمًا تصنعه بيديها .
هتفت في سعادة وهي تلتقي نفسها بين ذراعي أمها :
- كم تسعدني رؤيتك يا أماه .

احتضنتها أمها في حنان لم ينحل من الدهشة والقلق كعادتها ، وتساءلت في أعماقها عن ذلك التغيير الذي يصيب ابنتها كلما راحت أو غدت من كليتها ، وطال احتضانها لها ، قبل أن تهمس في أذنها :

- الأستاذ (وجدى صالح) ينتظرك منذ ساعة كاملة يا بنيتي .

أعادتها العبارة فجأة إلى عالم الواقع ، فابتعدت عن ذراعي أمها وهي تسألها في دهشة لا تخلو من الاستنكار :
- الأستاذ (وجدى صالح) المحامي ؟ .. وماذا يريد ؟

خرجت من بين شفيتها الرقيقتين كلمات مبسوطة خجلى تقول في همس :

- أعتقد أنه قد حان موعد محاضرتي .

همس في حنان :

- سأنتظرك .

أسرعت تبتعد قبل أن تهزمها عواطفها ، وتلقى بنفسها بين ذراعيه أمام الجميع ، وقالت وهي تلوح له بكفها :
- إلى الغد ..

كرر العبارة في همس :

- إلى الغد ..

وخفق قلباهما معاً ، فقد كان الغد هو موعد غرامهما

الأول .



أطرت أمها بوجهها وكأنها تتحاشى الدخول في
تفاصيل تجهلها ، ونعمت :

– لست أدري يا بنيتي ، ولكنه ينتظر كمنذ ساعة .
وقفت (ريهام) لحظة تفكر فيما دفع (وجدى
صالح) المحامي إلى الحضور ، ثم حزمت أمرها ، وتوجهت
في خطوات واسعة إلى حجرة الانتظار ، وهناك كان
والدها يجلس في جلبابه الأبيض البسيط ، يتبادل حديثاً
هامشياً مع المحامي في محاولة لقتل الوقت ، انتظاراً لعودة
ابنته ، ونهض الأستاذ (وجدى) فور رؤيته لها ، ومد
كفه بصافحها وهو يتسم كعادته ، إلا أنها تركت يده
الممدودة ، وانحنت تقبل وجنة والدها أولاً ، ثم اعتدلت
وكست ملامحها بصرامة مفتعلة وهي تصافح المحامي ، قائلة :

– مرحباً يا أستاذ (وجدى) .. خيراً .

أجابها في مرح مفتعل :

– إننا لم نلتق منذ وفاة المرحوم زوجك ، برغم
أنك تحصلين على إيرادك من مكنتي شهرياً ، ولقد أحببت
أن أحضر لزيارتك و ...

قاطعته في صرامة ، وهي تعلم أنه ما زال متردداً في
الإفصاح عن سبب زيارته :

– خيراً يا أستاذ (وجدى) .

تردد المحامي لحظة ، ثم خفض وجهه ، وقال :
– أشقاء السيد (عبد الحميد) – رحمه الله – يريدون
رفع قضية لاستعادة الثيلا .

هتفت في غضب ودهشة :

– استعادة الثيلا ؟ ! لقد تركها لي (عبد الحميد)

بعد وفاته و ...

قاطعها ، قائلاً :

– الشرع لا يسمح لك بأكثر من ثمن الثروة ، وأنت
محصلين على إيراد ثلث الثروة بموجب وصيته ، وهو
لا يحق له أن يوصي بأكثر من الثلث ، أما الثيلا ..

قاطعته هي هذه المرة وهي تهتف في غضب متزايد :

– ألا تذكرون الشرائع والقوانين إلا حين تتفق مع
مصالحكم ؟ .. هل تظن أن وصية موكلك السخيفة هذه
شرعية أو قانونية فيما يخصني ؟ .. أم أن هذا لم يدر بخلدكم
على الإطلاق ؟

رفع إليها المحامي عينين تطل منهما الدهشة وقال :
- وصية المتوفى تحترم دائماً ياسيدتى ، وكذلك القانون .
صرخت في غضب :

- أى قانون هذا ؟

ظل والدما ساكناً هادئاً ، ولم يحاول التدخل في
الحديث مطلقاً ، واكتفى بترديد بعض الأدعية والآيات
القرآنية ، على حين نهض المحامي من مقعده ، وقال :

- يبدو أنك قد فهمت الأمر على نحو مختلف ياسيدتى ،
فلقد أتيت إلى هنا صديقاً ، لا خصماً ، فأنا أدير أموالك
بحكم وصية المرحوم ، وأتقاضى عن ذلك أجراً محترماً ،
والقانون يمنعنى من رفع دعوى قضائية ضدك ، وأنا لم
أحضر تهديدك ، وإنما لتحذيرك ، وأطلب موافقتك على اتخاذ
الإجراءات اللازمة ضد دعوى أشقاء زوجك الراحل .

شعرت (ريهام) بالهزل ، وأخذت تداعب أصابعها
في قوتر ، ثم قالت :

- افعل ما تراه مناسباً يا أستاذ (وجدى) . إننى أوليك

كلّ ثقى .

صعدت إلى غرفتها بعد انصراف المحامي مباشرة ،
دون أن تتناول طعام الغداء للمرة الثانية في يومين متتاليين ،
واستلقت فوق فراشها وهي تشعر برغبة شديدة في
البكاء ، ثم لم تلبث أن تركت لدموعها العنان ، وانطلقت
تبكى في حرارة .

لم تكن قضية الفيلا هي ما يبكيها ، وإنما الواقع الذى
جذبها إليه كلمات المحامي ...

كانت كطير يحلق حرّاً سعيداً في سماء الخيال ، ثم
أسقطته رصاصة صياد لا يتغنى طعاماً ولا يلدأ جوعاً ،
وإنما يجد لذته في حرمان الطير المسكين من حريرته
وانطلاقته وسعادته ..

كانت تحلق في سماء الخيال ، عندما أوقعت بها
كلمات المحامي إلى أرض الواقع ..

ازداد بكاؤها ونحيبها ، وهي ترى علاقتها بـ (أحمد)
على نحو جديد ، أميل إلى التشاؤم ..

إن (أحمد) يعاملها كفتاة عنراء ..

إنه يخاطبها بلقب آنسة ، دون أن يدري أنها أرملة
أكبر مقاول في مصر (سابقاً) ...

ثم إلى أين تنتهي علاقتها به ؟ .. هل تزوجه وتفقد المال والثروة ؟ .. إن الزواج هو النهاية المنتظرة لكل علاقة حب نظيفة ، ولكن ...

كيف تلقى وراءها كل هذا الثراء الذي تنعم به لأول مرة ؟ ..

كيف يمكنها أن تعيد والدها إلى حلتيه اليتيمين ، ووالدتها إلى متاعب البيت ونظافته ، وأشقاءها إلى الحاجة وتبادل الثياب ؟

كيف تفقد كل هذا بعد أن ذاقته ، واعتادت عليه ؟ لماذا يصر القدر على إحاطتها دائماً بأسوار الوحدة والقلق ؟

لماذا ينتزع منها دائماً كل أمل في الحب والحنان ؟ .. نهضت من فراشها ، ووقفت أمام المرأة تتأمل جمالها الفتان ، وأدهشها ذلك الشحوب الذي بدأ يزحف إلى بشرتها ، وأدهشها عيناها المتورمتان من كثرة البكاء ، وقلة النوم .. واتخذت (ريهام) قرارها في حزم كعادتها ...

قررت أن تصارح (أحمد) بكل شيء ، وليكن ما يكون ، ولكن قرارها الحازم هذا لم يهدئ من ثورتها

وقلقها ، بل دفعها إلى التقلب في فراشها طوال الليل دون أن يغمض لها جفن ، برغم إحساسها العنيف بالإرهاق والتعب ..

بدأت شديدة الشحوب وهي تلتقي بـ (أحمد) في اليوم التالي ، حتى أنه هتف في دهشة ، وهو يتأمل ملامحها :

— ماذا أصابك يا (ريهام)؟ إنك تبدين شديدة الشحوب !!
أجابته في إعياء :

— لا عليك .. إنه بعض الإرهاق فحسب .
أسعدتها لطفته عليها ، وجزعه لشحوبها ، وأسئلته المتوالية للاطمئنان على صحتها وهو يقودها إلى الكافيتيريا ، حيث انتحيا منضدة منعزلة ، وسألها في قلق :

— ماذا بك حقاً يا (ريهام) ؟
تطلعت إليه بعينين ذابلتين ، وقالت :
— اطمئن يا (أحمد) ، إنه مجرد إرهاق بسيط ، سيزول بعد تناولي قدح من القهوة .
سألها في قلق :

— أنك لم تحصلي على ما يكفيك من نوم .. أليس كذلك؟
ابتسمت وهي تهمس مداعبة :

— كنت أفكر فيك .

ضحك في مرح وهو يقول :

— يا إلهي !! لقد كنا نفعل الشيء نفسه إذن .

رشفا أقداح القهوة في صمت ، ثم بدأ هو الحديث قائلاً :

— أعتقد أنه من حقك أن تعلمي كل شيء عني في

بداية تعارفنا .

ارتجف قلبها اضطراباً ، فقد خشيت أن يطالبها

بالمثل ، ولكنها احتفظت باضطرابها داخلها ، واكتفت

بتأمل ملامحه الوسيمة الهادئة ، وهو يقول في جدية :

— اسمي (أحمد عبد الله جلال) ، طالب بالسنة النهائية

كما سبق أن أخبرتك ، وترتيبي هو أول دفعتي خلال

السنوات الثلاث الماضية ، وأنوي الاحتفاظ بهذا التفوق ،

حتى يمكنني الحصول على درجة معيد ، بعد تخرجي

بمرتبة الشرف بإذن الله .. والدي موظف عادي بإحدى

شركات القطاع العام ، مرتبه يكفي لأن نبذو دائماً بمظهر

مشرف أمام الناس ، ولكنه لا يكفي لادخار قرش واحد ،

وهذا يعني أنه لن يتمكن من معاونتي على الزواج ، وسأعد

كل شيء بنفسى ، لي شقيقة واحدة تدعى (هالة) ،

وهي تصغرنى بثلاث سنوات ، شديدة المرح ، أنيقة ،

المظهر ، على الرغم من أنها ترتدى دائماً ثياباً رخيصة الثمن .

ذكرها حديثه بالحياة التي كانت تحياها في منزل

والدها ، قبل زواجها من (عبد الحميد) ، وشعرت في

أعماق نفسها بالحجل ، وودت لو استطاعت إخفاء ثوبها

الذي يبلغ ثمنه مرتب والد (أحمد) في عام كامل ...

شعرت لأول مرة بالحجل من ثرائها .. ولم يلبث

خجلها أن تحول إلى مزيج من الخوف والتوتر حينما أقدم

(أحمد) على ما كانت تخشاه منذ بداية حديثهما ، إذ سألها

في بساطة :

— وأنت يا (ريهام) ؟ .. أريد أن أعرف كل

شيء عنك .

نهضت في هدوء وهي تقول :

— دعنا نذهب إلى مكان آخر خارج الجامعة يا (أحمد) .

نظر إليها بدهشة ، وقال :

— ولم ؟ .. أليس من الأفضل أن نتحدث هنا

أمام الجميع ؟

قالت وهي تغالب دموعها :

٤٧

— أرجوك يا (أحمد) .

أطاعها في صمت ودهشة ، ولكنه ظل طول الطريق إلى بوابة الكلية صامتاً ، متسائلاً ، وتوقفت هي لحظة خارج البوابة ، وترددت برهة ، ثم أشارت إلى السيارة البيضاء الفارحة التي تعمدت اختيارها لهذا الصباح ، وقالت :

— سنذهب بسيارتى إلى كازينو صغير في المقطم ...

بترت عبارتها حينما رأت الدهول المرتسم في عيني (أحمد) ، وهو يتأمل السيارة الفارحة ، وازدادت رغبتها في البكاء حينما أخذ ينقل بصره بينها وبين السيارة في ضيق واضح ، وسالت دموعها بالفعل حينما هتف في حدة :

— هل تمتلكين هذه السيارة ؟

تماسكت وهي تفتح باب السيارة الفارحة ، وتدس جسدها الضئيل خلف عجلة القيادة ، ثم تفتح الباب المجاور لها ، قائلة :

— هيا يا (أحمد) .

تردد (أحمد) بعض الوقت ، ثم اتخذ مقعده إلى جوارها ، وظل صامتاً ، واضح الغضب ، وهي تدبر محرك السيارة ، وتنطلق بها عبر شوارع القاهرة المزدهمة ..

ظل كلاهما صامتاً حتى وصلت السيارة إلى ذلك الكازينو الصغير في المقطم .. ولم يبدأ الحديث بينهما إلا بعد أن وضع النادل كوبى عصير الليمون أمامهما ، وانصرف صامتاً .. هنا فقط قال (أحمد) في مخزية تفوح منها رائحة المرارة :

— أعتقد أن مرتبى بعد التخرج لن يكفى وقوداً لسيارتك .

ضايقتها بخبرته ، فقالت :

— الثراء ليس عاراً يخشاه المرء يا (أحمد) .

نغمغم في غضب :

— أنا لم أقل ذلك .

هتفت في جراءة أدهشتها :

— أنا أحبك يا (أحمد) .

سبح بعينيه في زرقة عينها وهو يهمس :

— وأنا أذوب حباً لك يا (ريهام) .

ثم عاد الضيق يكسو ملامحه وهو يستطرد :

— ولكن ..

سألته في حدة :

– ولكن ماذا؟ .. الحب لا يعرف الحواجز والسدود،

إنه يحطمها جميعاً في طريقه .

قال في ضيق :

– الحب ليس أنانية يا (ريهام) .

قالت في دهشة :

– وما لنا والأنانية ؟ !

تطلع إليها في حزن أطل من عينيه كسهم من نار

تخترق قلبها ، وقال بهدوئه المعهود :

– زواجى منك مع كل هذا الفارق المادى سيكون

منتهى الأنانية من جانبي يا (ريهام) ..

انسالت دمعة صامته من عينيها ، على حين استطرد هو :

– الحب فيض من العطاء المتبادل يا (ريهام) ..

عطاء بين رجل وامرأة ، وهذا العطاء لا يتخذ صور

الصحيحة ، إلا بين كفتين متوازنتين ، يعطى الرجل في

إحداهما الحنان والأمان المادى والعاطفى ، وتعطى المرأة

الاستقرار والحب والدفء ، وأى خلل في هذا الميزان

يرجع لإحدى الكفتين عن الأخرى ، وتفقد العلاقة

توازنها ، وينهار الحب في النهاية .

انهمرت دموعها غزيرة ، على حين واصل هو قائلاً :

– كنت أظنك في البداية واحدة من أبناء أسرة

عادية ، يكافح عائلها كى يؤمن لها المظهر الجيد والحياة

الكريمة ، في هذه الحالة كنت ستحتملين سنوات الكفاح

التي تنتظرنا قبل أن نصل إلى هذه الحياة الكريمة ، ولكن

من الواضح أن والدك رجل بالغ الثراء حتى يؤمن لك مثل

هذه السيارة الفارهة ، وأنتك لن تحتلمي شهراً واحداً في

الكفاح .

هتفت وهى تبكى :

– والذى بالغ الثراء ؟ ! .. يالها من مهزلة !! ..

إن والدى مجرد موظف عادى أيضاً يا (أحمد) .

اتسعت عيناه دهشة وهو يتطلع إليها مغمغماً في تردد :

– ماذا تعنين يا (ريهام) ؟

وجدت نفسها فجأة تندفع لتقص عليه كل شيء ..

كل التفاصيل ، دون أن تهتم بالشحوب الذى يكسو وجهه

٥ - الانهيار ..

لم تبك (ريهام) مثلما بكت ذلك المساء ، فاضت
الدموع من عينيها غزيرة ، حتى خيل إليها أن مقلتها قد
جفتا إلى الأبد ..

كانت تبكى وهي تردد اسم (أحمد) ، الذي فقدته
إلى الأبد ..

فقدت أول حب في حياتها .. أول حب حقيقي ..
وأخذت تلعن (عبد الحميد) ، وزواجها منه ، لعنت
حياتها وقدرها ومستقبلها ..

وأخيراً انهار جسدها الضئيل ، الذي لم يحتمل ليلة
ثالثة بلا نوم ، وراحت في غيبوبة عميقة وهي تبكى ..
كانت تبكى في غيبوبتها ، حتى ابتلت وسادتها بنهر من
الدموع الساخنة ، التي لم تلبث أن جفت فوق وجنتيها
الشاحبتين مع مطلع النهار ..

كانت الساعة تدق تمام الساعة حينما دخلت أمها إلى
حجرتها لتوقظها ، وضربت صدرها براحتها في لوعة
وجزع عندما رأت وجه ابنتها الشاحب ، والدموع التي

كلما استطردت في روايتها ، وحينما انتهت كانت دموعها
قد جفت ، وكأنما شعرت بالراحة بعد أن أفرغت
ما يجعبتها ، على حين كان وجهه قد بلغ من الشحوب حدًا
جعله يقترب من اللون الأبيض .. ومر وقت طويل من
صمت قاس عنيف إلى أن نهض هو في صعوبة ، وقال
وهو يشيح بوجهه عنها :

- هيا بنا .. لأنني لم أعد أحتمل البقاء .

• • •



— ألا توجد محاضرات لكم اليوم ؟

أجابتها في حدة :

— لن أذهب مطلقاً .. لقد كرهت الجامعة والدراسة .

قلبت الأم كفيها في حيرة ، وأطل الحزن من عينيها عميقاً وهي تتساءل عما أصاب ابنتها الحبيبة ، ولكنها في قرارة نفسها حمدت لها عدم ذهابها إلى الكلية ، فأحوال ابنتها في قلب مستمر منذ ذهابها إلى الكلية ، وربما يعيد لها ابتعادها عنها الاتزان والمرح ..

وفي هدوء وصمت تسلت الأم خارج حجرة ابنتها ، وأغلقت الباب خلفها في حرص ، وكأنها قد شعرت بفطرتها أنها تحتاج إلى الحلوة بنفسها ..

ظلت (ريهام) تتأمل ملامحها في المرأة طويلاً ، وهالها ذلك الشحوب الذي أذبل جمالها الفتان ، وذلك التورم في جفنيها ، الذي أطفأ بريقهما الجميل ، وأزاحت بكفها خصلات شعرها الناعم المتهدل بلا انتظام حول وجهها ، وسرحت بأفكارها إلى لقاءها بـ (أحمد) ، وحديثهما الذي انتهى بفراقهما في الكازينو الصغير ، حيث أصرّ على العودة

تبلل وسادتها في غزارة ، فأسرعت توقظها في لفة ، وقد خيل إليها أنها قد فقدتها في ظلام الليل ..

فتحت (ريهام) عينيها الذابلتين ، اللتين فقدتا بريقهما ، وتطلعت إلى أمها في شرود ، وتهدت الأم في ارتياح وهي تضم ابنتها الشاحبة إلى صدرها ، وتسألها في حنان وحزن وهي تربّت على شعرها :

— ماذا أصابك يا بنتي ؟

شعرت (ريهام) بدفء صدر أمها ، وبنراعيها الحانيتين حولها ، فاستكانت بين أحضانها ، وسالت الدموع من عينيها في صمت ، وشعرت الأم الطيبة بدموع ابنتها ، فعادت تسألها ، وقلبا ينفطر حزناً :

— ماذا بك يا بنتي ؟ .. لا ريب أنها عين الحسود التي

أصابتك ، لا بد أن أطوف حولك بالبخور قبل ذهابك إلى الكلية اليوم .

انسلت (ريهام) من بين ذراعي والدتها ، ونهضت تتأمل وجهها الشاحب في المرأة ، ثم قالت في صوت حزين :

— لن أذهب إلى الكلية يا أمي .

سألها أمها في طيبة :

في واحدة من سيارات الأجرة ، ورفض ان تصحبه في
سيارتها ..

لحظتها فهمت أنه ينهى علاقتهما قبل أن تبدأ ، وبخزم .
جلست على طرف فراشها وهي تتساءل عما أخطأت
فيه ، لقد تزوجت زواجاً شرعياً من (عبد الحميد
الدمهورى) ، وكانت له نعم الزوجة حتى توفاه الله ،
لم تجرح شرفه طوال حياتها معه ، على الرغم من كراهيتها
الشديدة لكل ما يتعلق به ، كانت تكره حديثه السوقى ،
وأسلوبه الحيوانى فى التعامل معها ، وبخله الشديد فى
كل ما يتعلق بها ، ولكنها حافظت على شرفه كأمى زوجة
شريفة مخلصه ..

انتهت بأفكارها إلى أنها تزداد وحدة وابتعاداً عن
الناس ، كلما تقدم بها العمر ..

عادت تتأمل ملامحها فى المرآة ، وبدأت تضع
مسايق التجميل فوق وجهها بإسراف لأول مرة ، وكأنها
تحاول إخفاء آثار الشحوب والحزن من محياها الجميل ..
كانت قد انتهت من ارتداء ثيابها ، واستكملت زينتها
حينما دخل شقيقها الصغير إلى حجرتها ، وقال فى احترام :

– أبله (فوزية) تنتظرك مع الأستاذ (فاضل) ،
والأستاذ (فتحى) فى حجرة الصالون .

زوت ما بين حاجبيها الرفيعين فى ضيق وتساؤل ،
فلم يكن من المألوف أن يزورها أشقاء زوجها .. إنها فى
الواقع لم ترهم منذ وفاة (عبد الحميد) ...
انتابتها موجة من التحدى وهو تقول :

– أخبرهم أننى سأقابلهم بعد قليل .
ظلت روح التحدى تصول فى أعماقها حتى دخلت
لاستقبالهم فى حجرة الصالون ، وصافحها (فاضل)
و (فتحى) فى برود ، على حين تطلعت (فوزية) إلى
زينتها الصارخة ، وابتسمت فى سخرية وهي تقول :

– صباح جميل يا عروس .
تجاهلت (ريهام) رنة السخرية فى صوت (فوزية) ،
كما تجاهلت إصرار هذه الأخيرة على الحضور بملابس
سوداء ، وكأنها تؤكد استمرار حزنها على شقيقها ،
بعكس (ريهام) التى ترقدى ثوباً فى لون الفستق ، مزينة
بزهور خضراء زاهية .. وجلست (ريهام) على المقعد

المقابل للأشقاء الثلاثة ، وتأملت ملاحظهم لحظة ، قبل أن تقول في لهجة يبدو التحدي واضحاً في كل حرف منها :

– خيراً ، هل تتعجلون الاستيلاء على الفيلا ؟

تبادل (فاضل) و (فتحى) نظرات صامتة غاضبة ، على حين ازدادت ابتسامة (فوزية) سخرية وهي تقول :

– سنثول إلينا الفيلا إن آجلاً أو عاجلاً ، ولكن حضورنا اليوم من أجل الحفاظ على شرف شقيقنا الراحل – رحمه الله ...

سألها (ريهام) في دهشة :

– شرف شقيقكم ؟ ! .. وماذا أصاب شرفه – والعياذ بالله ؟

نقلت الأم بصرها في حيرة وقلق بين (فوزية) و(ريهام) ، على حين اتكأت (فوزية) بذقتها على قبضتها المضمومة ، إلا من سبابتها وإبهامها ، اللذين يداعبان ذقتها وهي تقول في لهجة شامته ساخرة :

– يقولون : إن شرف شقيقنا قد تنأثر بالأمس فوق جبل المقطم .

احتقن وجه (ريهام) غضباً ، وشحب وجه أمها ، وقد أدركت ما تعنيه هذه الكلمات ، وساد صمت مريب بضع لحظات ، تبادل خلالها الأشقاء الثلاثة نظرات الشماتة والسخرية ، ثم قالت (ريهام) في صوت محتد غاضب :

– منذ متى ترسلون جواسيسكم خلقي ؟

تجاهلت (فوزية) سؤال (ريهام) ، وقالت في لهجة أكثر شماتة :

– من الأفضل لأرملة مثلك أن تتزوج ، بدلاً من أن تصحب الشبان إلى كازينوهات المقطم و ...

صرخت (ريهام) في غضب وهي تقفز من مقعدها :
– اخرسى أيتها البومة الشريرة .

اتسعت عيون الجميع دهشة من هذا الهجوم المباغت ، على حين لم تمنحهم (ريهام) الفرصة لصد هجومها وهي تلوح بذراعها ، وتستطرد في غضب :

– إننى أشرف منكم جميعاً ، إن أحداً لم ولن يمسنى بشيء إلا حلالاً خالصاً ، لقد نشأت في بيئة محافظة ، ولم أصعد من الحضيض إلى سلام الثروة مثلكم .

استعادت (فوزية) قدرتها على الهجوم بسرعة ،
وصرخت في وجه (ريهام) :

- كفى هراء .. إنك تخشين الزواج حتى لا تفقدين
أموال أخى ، وتفضلين العيش في الحرام و ...

بلغ غضب (ريهام) ذروته وهي تصرخ :
- اخرسى أيتها العانس الشمطاء ، لو أنك تقبلين

العيش في الحرام ، فأنا أرفضه تماماً ، وحينما أقرر الزواج
سألتى خلتي كل أموال شقيقكم هذا ، وسأ ...

بترت عبارتها فجأة وقد تجلت لها حقيقة قاسية ..
ودار في رأسها سؤال مباغت ..

هل هي قادرة حقاً على التخلي عن الثراء والرفاهية ،
الذين تعيشهما الآن ؟

هل تمتلك الشجاعة على العودة إلى حياة الاحتياج ،
وإلى الدخل الذى يكفى حاجة البيت بالكاد ؟ ..

هل يمكنها حقاً أن تلتقى كل هذا الثراء خلفها إذا
ما أحبت ؟

تساءلت لحظتها : هل كان بإمكانها ذلك لو طلب
(أحمد) زواجها ؟

حطم هذا التساؤل كل قدرتها على المقاومة ، فانهارت
فوق مقعدها ، ودفنت وجهها بين كفيها وهي تلهث من
الانفعال ، ولكنها لم تبك ..

خيل إليها لحظتها أن دموعها قد جفت حقاً ، وأنها
لن تبك إلى الأبد ..

وفي هدوء نهضت (فوزية) ، ونهض شقيقها
(فاضل) و (فتحى) ، وقال هذا الأخير في حدة قبل

أن ينصرفوا جميعاً :
- سنلتقى في ساحات المحاكم ، وسينال كل منا جزاءه

وحقه .
لم ترفع (ريهام) وجهها من بين كفيها إلا بعد أن

غادروا القिला جميعاً ، واقتربت منها والدتها تسألها في توتر :
- ماذا يعنون بقصة المقطم هذه يا بنتى ؟

أجابتها في صوت أقرب إلى البكاء :
- دعيني وحدى يا أمى .. أرجوك .

أطاعتها أمها في استسلام كعادتها ، وقلبا ينبض بالقلق
والحيرة ، على حين أسندت (ريهام) رأسها إلى ظهر

مقعدها ، وأغلقت عينيها ، وأخذت تفكر ..

شهر كامل مرّ منذ آخر لقاء لها مع (أحمد) .. شهر كامل وهي تكتوى بنار اللففة والعذاب في كل لحظة .. جافاها النوم حتى لم يعد يتسلل إلى جفنيها إلا لماماً .. ازدادت نحولا حتى فقد وجهها استدارته ، وغارت وجنتاها ، وذبل جمالها الفتان ..

لم تعد تشعر بمتعة في الحديث ، فأصبح الصمت رفيقها الأول ..

فقدت متعة الطعام ، فهزل جسدها ، وفقد تناسقه ..

لم تعد تذهب إلى الكلية ، أو النادي ..

لم تعد تقيم الحفلات في حديقة الفيلا ..

حتى الروايات العاطفية فقدت بريقها، وضاع منها عالم الخيال ..

ازدادت وحدتها عن ذي قبل .. وازداد انعزالها عن الجميع ..

كانت تجلس بالساعات في شرفة حجرة نومها

شاردة البصر والفكر ..

لم تكن تتصور أن الثراء يمكنه أن يجلب إلى المرء كل هذه التعاسة ..

هذا الثراء الذي ظلت تحلم به طيلة حياتها أضاع منها الحب والراحة ، وحتى الأحلام ..

ولكن هل تستطيع التنازل عنه دفعة واحدة ؟

هل أصبح هذا من حقها بعد أن اهتاد والدها ووالدتها وأشقاؤها العيش السهل ، الذي لا يخشى المرء فيه على طعامه ونومه وكسائه ؟

أرعبتها فكرة العودة إلى حياة الحاجة ، حتى أنها نفضتها في ذعر ، ونهضت تعدل من هندامها ، ثم اكتست ملامحها بالصرامة وهي تسرع الخطا نحو باب الفيلا ، وأوقفتها والدتها وهي تسألها :

— إلى أين يا بنتي ؟

أجابتها في شرود :

— إلى النادي .. لم يعد أمامي سواه ؟

هزت الأم رأسها في أسى ، تمتعت في حزن :

— هداك الله يابنتي .

كانت في عينيها صورة واحدة لا تفارقها .. صورة
(أحمد) وهو ينهض غاضباً بعد لقائهما الأخير في المقطم ..
وفي صباح ذلك اليوم من أيام شهر نوفمبر بلغ بها الشوق
إلى رؤيته مبلغاً لا يقاوم ، وقررت الذهاب إلى الكلية
لرؤيته ، حتى وإن كان ذلك إهداراً لكرامتها ، أو إحساساً
بالهزيمة .. ولكن أى إهدار للكرامة في محب يتوق إلى نظرة
من عيني محبوبه .. وأية هزيمة في حنان دافق بين قلبين ..
اختارت ثوباً سماوياً في لون عينيها ، محتشماً كعادتها ،
تزينه نقوش زرقاء متناثرة في أناقاة ، وصففت شعرها في
عناية ، وحرصت على اختيار لون هادئ لشفتيها ، ولم
تضف أية مساحيق تجميل أخرى ..

كانت تبدو أكثر جمالا دون مساحيق ، وشعرت
بالارتياح وهي تتأمل وجهها في مرآة حجرتها ، وهبطت
إلى بهو الفيلا في خطوات هادئة ، وألقت تحية الصباح
لأول مرة منذ شهر كامل على والدتها ، ووالدها الذي
جلس يتناول طعام إفطاره البسيط قبل ذهابه إلى عمله ،
وترددت والدتها قبل أن تسألها :

— إلى أين في هذا الوقت المبكر يا (ريهام) ؟

أجابتها في هدوء :
— إلى الكلية يا أمه .

ارتفع حاجبا الأم الطيبة في دهشة ، على حين تطلع
الوالد إلى ابنته ، وتمتم ببضع كلمات غير مسموعة ، ثم عاد
إلى طعامه وكأن الأمر لا يعنيه .

انطلقت هي إلى الكلية في سيارتها الصغيرة ، وعبرت
بوابتها في تردد ، وقلبا يرتجف للقاء المرتقب ، ووقفت
تدير عينيها بحثاً عنه كعادتها ، ثم جرجرت ساقها إلى كل
مكان يمكنها أن تجده فيه ، ذهبت إلى ركن صحافة الحائط ..
إلى الكافيتريا .. راجعت جدول محاضراته ، ولكنها لم تعر
له على أثر ..

فكرت أن تسأل عنه أحد زملائه ، ولكنها كشفت
حينئذ حقيقة لم تدر بخلدها مطلقاً ، كشفت أنها لا تعرف
من طلبة الكلية سواه ، لا من زملائه ، ولا من طلاب
دفعتها .. كشفت أن الكلية كلها كانت في نظرها شخصاً
واحداً .. (أحمد جلال) ..

تملكها اليأس بعد بحث طويل ، ودفعها إلى إتيان عمل

جریء ، لم تكن لتتصور قدرتها على إتيانه في الظروف
العادية ..

أوقفت شاباً لا تعرفه ، وسألته في لطفة تم عما يدور
في أعماقها :

– هل رأيت (أحمد) اليوم ؟

تطلع إليها الشاب في دهشة وتساؤل ، فأردفت على عجل :
– (أحمد جلال) الذي يكتب صحف الحائط .

ارتفع حاجبا الشاب في شكل ينم عن معرفته بالأمر ،
وهتف وهو يتأملها :

– (أحمد جلال) ؟ .. ألا تدرين ما أصابه ؟

اختلج قلبها في جزع وهي تردد :

– ما أصابه ؟ !

أسرع الشاب يقول :

– لقد كان يحاول تعلم قيادة السيارات ، عندما

اصطدمت سيارته بأخرى من نوع النقل الثقيل ، وتحطمت
ساقه عن آخرها .

لم تدر كيف وصلت إلى مستشفى (قصر العيني)

حيث يرقد حبيبها ...

لم تدر كيف عبرت شوارع القاهرة المزدهمة وعيناها
مغرورقتان بالدموع ، وقلبها يبكي في لوعة ..

اكتشفت أخيراً أن دموعها لم تجف بعد ، وأنه مازال
لديها فيض هائل منها ..

كانت تبكي وهي تصعد إلى الطابق الثالث ، حيث يرقد

(أحمد) ، ولكنها وقفت على باب حجرته ترتجف كطير
رقيق مبتل ، وتجفف دموعها حتى لا يراها باكية ، ثم

طرقت باب الحجره في تردد ، وجاءها صوته ضعيفاً
واهنأ وهو يطلب منها الدخول ..

ترددت لحظة وهي تتصور أنها لن تجرؤ على مواجهته ،

ثم دفعت الباب ، وخطت إلى الحجره في صمت ...

لم تعرفه للوهلة الأولى حينما وقع بصرها عليه ، كان
قد ازداد نحولاً حتى غارت عيناه في محجريهما ، وبرزت

عظام فكه إلى الأمام ...

ولم يعرفها هو أيضاً حينما وقع بصره عليها للحظة
الأولى ، فقد أصابها ما أصابه ، وأفقدتها الحب بريقها

ورونقها ..

ولكن شيئاً واحداً فيه لم يتغير .. وشيئاً واحداً فيها لم يتبدل ..

عينيه السوداويين المليئين بالحنان والقوة .. وعيناها الواسعتين في لون البحر ..

ومن عينيها .. ومن عينيه انطلقت نظرة حب لامثيل لها ، التقت في منتصف المسافة بينهما ، ثم ارتدت إلى قلبيهما ، اللذان ارتجفا في وله ، وانتقل ارتجافهما إلى شفثيهما ، فنطق كل منهما اسم الآخر ، وسط فيض من الحب والحنان ..

اندفعت نحوه في عشق ، والتقط كفها الرقيق بين راحتيه ، وغرق كل منهما في عيني الآخر ، وسقطت قطرة دمع ساخنة من عينيها بللت وجهه وهي تقول في صوت متهدج :

— لم أطق الابتعاد طويلاً .

همس دون أن يحول عينيه عن عينيها :

— أحبك ..

لم تصدق أذنيها وهي تسمعه ينطق الكلمة التي طال

اشتهاقها لها ، وارتفع حاجباها في حنان وهي تتأمل وجهه النحيل ، ثم همست وهي تمسح شعره بكفها في رقة :

— لقد نحلت كثيراً .

همس وهو يضم كفها الآخر بين راحتيه ، وكأنه يخشى أن تبتعد عنه :

— وأنت أيضاً .

جلست إلى جواره على حافة الفراش ، ولاحظت ساقه المعلقة وسط الجبس لأول مرة ، فهمست وهي تبسم في حنان :

— حمداً لله على سلامتك .

ابتسم وهو يقول :

— إنه مجرد كسر بسيط .

ضحكت في مرح مفتعل وهي تقول :

— هل اعتدت دائماً أن تهون من شأن الأمور ؟

هز رأسه وهو يقول :

— ليس دائماً .

ابتسمت وهي تتسلل بأناملها وسط خصلات شعره الناعم الغزير ، وسبحت وسط بحر من الخيال والحب

وهي تتأمل مجيئه الذي لم يفقد وسامته ، برغم نحوله الشديد ، إلا أنه فاجأها ، قائلاً :

– هل تزوجيني يا (ريهام) ؟

كان السؤال مبالغاً حتى أنه انتزعها انتزاعاً من عالم الخيال ، وأعاد إليها كل مخاوفها من العودة إلى الحاجة وفقدان الثراء ، وترددت طويلاً وهي تتأمل ملامحه ، ولاحظ هو ترددها ، فاكتست ملامحه بالغضب ، وترك كفها من راحته ، وقال في حدة :

– لِمَ ترددت ؟

حاولت أن تبحث عن جواب يرضيه ، ولكن هذا زاد من ترددها الواضح ، فهتف هو في غضب :

– يمكنك أن تنسى السؤال الذي سألته لك منذ لحظات.

التمعت الدموع في عينيها وهي تقول في توسل :

– لا تفسد هذه اللحظة يا (أحمد) .. أرجوك .

بدا وكأنه لم يستمع إليها وهو يواصل اندفاعه في حدة :

– لقد أخطأت حينما تصورت لحظة أنك قادرة على

التنازل عن الثراء من أجل .. من أجل زواج شريف ،

ولكنك ستظلين هكذا دائماً ، المال هو المحرك الأساسي لعواطفك .

بكت لهذا الاتهام الجارح ، وقالت بكلمات خرجت من بين دموعها مرعدة :

– إنني لم أخطئ من قبل .. لقد تزوجت على سنة الله ورسوله .

صاح في تهوّر :

– تزوجت رجلاً يكبرك بأربعين عاماً كاملة من أجل

المال ، وترفضين الزواج للمرة الثانية أيضاً من أجل المال.

بقدر ما كانت كلماته جارحة ، إلا أنها كانت تحمل

قدراً كبيراً من الحقيقة ، ألجم لسانها ، ومنعها من النطق

والاعتراض .. واكتفت بالبكاء وهي تتطلع إليه في صمت ..

تسللت دموعها إلى شغاف قلبه ، فألجمت لسانه أيضاً

وقد شعر بالندم على كل ما وجهه إليها من إهانات ،

وظل كلاهما يحدّق في وجه الآخر صامتاً بعض الوقت ،

ثم همست هي من خلال دموعها :

– (أحمد) ..

حاول أن يهمس باسمها ، ولكن شيئاً ما في أعماقه

ضحكت (هالة) في مرح مصطنع ، وقد تملكها
الدهشة من تجمعهما ، وقالت :

- هل حضرت في لحظة غير مناسبة ؟
لم تحمل (ريهام) كل هذا القدر من الحزن ،
فاندفعت فجأة تغادر الغرفة ، وتبعها (هالة) في دهشة ،
ثم التفتت إلى شقيقها وسألته :

- ماذا فعلت لها ؟

أشاح بوجهه وهو يغمغم :

- بل قولي ماذا فعلت بنفسها ؟



بدد هذا الهمس قبل أن يقفز إلى شفتيه ، وعندما حاول
مرة أخرى تبذرت محاولته لسبب خارجي .. فقد فتح
الباب في هذه اللحظة ، واندفعت فتاة رقيقة ، سوداء
الشعر ، تحمل نفس ملامحه الوسيمة .. نفس ابتسامته
الجلذابة ، وهتفت في مرح :

- كيف حال بطل سباق السيارات ؟

ثم توقفت فجأة وهي تنقل بصرها بين وجه (أحمد)
المتجهّم ، والدموع المنسالة على وجنتي (ريهام)
الذابلتين ، ومضت لحظة من صمت متسائل ، قبل أن
تهتف الفتاة في مرح :

- اتركوني أخن .. أنت (ريهام) . أليس كذلك ؟

ثم اندفعت تحتضن (ريهام) وهي تواصل في مرح :

- لقد عرفتك على الفور ، ف (أحمد) يتحدث عنك

كثيراً .

أشاح (أحمد) بوجهه ، وكأنه يرفض ما تقوله الفتاة ،

على حين خفضت (ريهام) عينيها ، وقالت في ضعف :

- وأنت (هالة) شقيقة (أحمد) .

بدت (ريهام) شديدة العصبية هذا المساء ، حتى أن الجميع تحاشوا مجرد سؤالها عما يقلقها ..
لم يغادر والدها حجرته ، وانهمك في قراءة القرآن ،
وتلاوة بعض الأدعية في هدوء ..
وتشاغلت والدتها بترتيب بعض الأشياء ، التي أعادت ترتيبها لعاشر مرة ...
وانزوى أشقاؤها الصغار يتبادلون حديثاً هامساً في ركن من أركان الرّدهة ..

وظلت هي تجول وحيدة في حديقة الفيلا ...
كانت تحاول حسم رأيها في الاختيار ما بين الثراء والزواج .. كان أقصى ما تتمناه هو الزواج من (أحمد) ،
الذي أصبح كل شيء في حياتها ، ولكن خوفها القديم من الحاجة وعدّ القروش خوفاً من الفقر يعاودها كلما حاولت تخيل حياتها مع (أحمد) بعد الزواج ..
لم تكن ترغب في تكرار حياتها السابقة وسط أسرته ..
كانت تتخيل نفسها وقد تزوجت (أحمد) ، وتخلت عن

المال والجاه ، ثم بدأت نفس المشاكل المادية القديمة تحيط بهما ..

رأته بعين الخيال يرتدى حلة واحدة يحرص على نظافتها والعناية بها كما كان يفعل والدها ، ورأت نفسها تلوى وتذبل مع انهماكها في أعمال البيت ، كما أصاب والدتها ، تصورت أنهما يدخران القروش من أجل شراء ثوب جديد لها ، أو علاج طفل مريض .. تخيلت (أحمد) في ثياب رثة يستدين في إذلال لشراء دواء ينقذ به طفله .. وأفزعتها هذه التصورات .. أثارت في أعماقها رعباً طالما حاولت إخماده .. شعرت لحظة أنها لن تستطيع التخلي عن الثروة التي تنعم بها مطلقاً ..

ثم عاودها الحنين إلى (أحمد) ، وعادت تتصور حياتها معه ، مع كل هذه الطاقة التي يملكها من حب وحنان وعطاء ، وفجأة عاد شبح الحاجة يبرز وسط الصورة ، ويشوهها ، ويحطم جمالها ورونقها ..

ضربت (ريهام) كفيها في عصبية ، وجذبت ورقة من أوراق الشجيرات المنتشرة في حديقة الفيلا ، وألقت بها بعيداً ، ولكن هذه الحركة الانفعالية لم تلبث أن بعثت

في قلبها انقباضاً عجيباً ، فأسرعت تلتقط الورقة ، وتحاول
إعادتها إلى فرعها عبثاً ، وسرعان ما تنبثت إلى استحالة
ذلك ، فعادت تلتقي الورقة في عصبية ، وقد زاد قلبها
انقباضاً ، وأسرعت ترتقي درجات السلم إلى ردهة الثيلا ،
وانتحت ركناً منعزلاً ، وجلست صامته واجمة ، إلى أن
اقتربت منها واحدة من خادومات الثيلا ، وقالت في تردد
وكأنها تخشى ثورة سيدتها :

— هناك آنسة تطلب مقابلتك يا سيدتي .

رفعت عينيها إلى الخادمة في تساؤل ، ومرت لحظة
من الصمت ، قبل أن تسألها في لهفة أدهشت الخادمة :

— آنسة ؟ .. ما اسمها ؟

أسرعت الخادمة تقول :

— إنها تدعى (هالة جلال) و ...

وقبل أن تتم الخادمة عبارتها قفزت (ريهام) من
مقعدها ، وانتفض قلبها ببارقة من أمل ، انتشر في أعماقها ،
وأسرعت في خطوات كالقفز إلى باب الثيلا ، حيث
استقبلت (هالة) في حفاوة أدهشت هذه الأخيرة ، حتى
أنها هتفت في مرح :

— يا إلهي !! لو أنني أتوقع كل هذه الحفاوة لحضرت
إلى هنا منذ زمن طويل .

قالت (ريهام) في لهفة وهي تقودها إلى حجرة
الصالون :

— أنت على الرحب والسعة دائماً يا (هالة) .

جلستا في حجرة الصالون ، وظلت (هالة) صامته
تأمل الأثاث والرياش الفاخر ، على حين أخذت (ريهام)
تفرك كفيها في عصبية ولهفة ، وعيناها متعلقتان بشفتي
(هالة) ، التي طال صمتها ، إلى أن هتفت (ريهام)
وقد نفذ صبرها :

— كيف حال (أحمد) ؟

ابتسمت (هالة) وهي تقول :

— بخير .. لقد رأيته هذا الصباح .. أليس كذلك ؟
عاد الصمت يسدل أستاره بينهما إلى أن قالت (ريهام)
في لهجة تكشف عن مدى لهفتها وقلقها :

— لقد أتيت تبلغيني شيئاً ما يا (هالة) .

مطت (هالة) شفتيها ، وقالت وهي تهز كفيها :

— ليس تماماً ..

صدقيني . إنه إنسان رائع ، قل " أن تجد فتاة منا رجلاً
مثله في هذا الزمن .

همست (ريهام) :

— يبدو أنك تحببته كثيراً .

ضحكت (هالة) في مرح وهي تقول :

— لا تنسى أنه شقيقى الوحيد .

دار بينهما حديث ارتجالي بدأته (ريهام) :

— إنه يرفض أن يفهمنى .

— إنه يقول : إنك لا تفهمينه .

— إنه يطلب منى التخلي عن كل شيء من أجله .

— هذا هو الحب .

— الثراء ليس عاراً ينجل منه المرء .

— والفقر كذلك ..

— إننى أكره الفقر والحاجة .

— ولكنك تحببته .

— أريدهما معاً .. (أحمد) والثراء ، هل في هذا عيب ؟

— كلا ، ولكن الوضع الحالى يفرض عليك اختيار

أحدهما .

ارتفع حاجبا (ريهام) دهشة وهي تغتمغ في قلق :

— ماذا تعنين ؟

اعتدلت (هالة) في مقعدها ، ومالت إلى الأمام وهي

تقول في جدية :

— إن التوتر في علاقتك بـ (أحمد) يقلقنى ، ومن

الواضح أنه ينهشكما أيضاً ، فقد نحلتما ، وظل هو مكتئباً

منذ انصرافك غاضبة من حجرتة بالمستشفى ، ولقد رفض

كعادته أن يفصح لى عن مكنون نفسه ، وأنا أحاول معرفة

ذلك منك .

ظهر الحزن في عيني (ريهام) وهي تغتمغ :

— ليتنى أعلم ما يدور في أعماقه .

تأملتها (هالة) بعض الوقت ، ثم قالت :

— يدهشنى أن تعجزى عن فهم (أحمد) ، فهو

بسيط ، واضح كلإناء من الماء الصافى ..

تطلعت إليها (ريهام) في دهشة ، فقد كانت تتحدث

في هيام كما لو كانت تصف حبيباً لا أخاً ، وهي تستطرد :

— إنه رقيق كالفراشة ، قاس ، عنيد ، كريم ..

— لماذا يصر القدر على معاندتي دائماً ؟

— القدر يرى من القرارات التي منحنا الله — سبحانه

وتعالى — حق الاختيار فيها .

توقف الحديث عند هذه النقطة ، وخيم الصمت
بضع ثوان ، فقد كانت (ريهام) تعلم أن عبارة (هالة)
الأخيرة صادقة ، ولكنها تعلم في الوقت نفسه أنها أضعف
من أن تتخذ هذا القرار المصيري الخطير ، وعادت تهمس
في يأس :

— لا يمكنك أن تتصورى صعوبة الاختيار .

مطت (هالة) شفيتها ، وهي تعود لتستند إلى ظهر
المقعد ، قائلة :

— هذا هو ما يؤلم (أحمد) ، إنه يرى أن صعوبة
الاختيار في حد ذاتها تهيئه ، فهو شديد الاعتداد بنفسه ،
حتى أنه يرفض أن يوضع في كفة ميزان أمام المال مهما
بلغ قدره .

عاد الحديث الارتجالي يتدفق ثانية :

— لماذا لا يعاونني على اتخاذ القرار ؟

— إنه قرارك وحدك .

— المرأة أضعف من أن تتخذ قراراً مصيرياً كهذا .

— هذا ما يوهننا به الرجال .

— بل هو الحقيقة .

— لو أنه كذلك لأجبرك والدك على رفض (عبد الحميد)

منذ البداية .

انقطع الحديث مرة ثانية ، وتفجر القلق والحيرة في
قلب (ريهام) ، شعرت أنها عاجزة عن مناقشة منطق
(هالة) ، وأنها هي صاحبة الخطأ الأول منذ قبولها
الزواج من (عبد الحميد) ، ولكنها كانت ترفض أن
يحطم هذا الخطأ حياتها ، وهي لم تتجاوز الثانية والعشرين
بعد ، وترفض في الوقت نفسه أن تعود إلى حياة الحاجة
كذي قبل ...

نهضت من مقعدها دفعة واحدة ، وأخذت تسير في
الصالون وهي تفرك كفيها في عصبية ، ثم استدارت إلى
(هالة) تتأملها في صمت وحزن ويأس ..

وفجأة برق في عقلها خاطر عجيب ، أمل أضاء
قلبا فجأة ، حتى أنها دهشت كيف لم تبينه وسط خضم

الأحداث المتلاحقة ، منذ لقائهما الأول مع (أحمد) ،
فهتفت على نحو أدهش (هالة) :

– وماذا لو أنني تمكنت من الاحتفاظ بهما معاً ؟

تطلعت إليها (هالة) في دهشة ، وتمتمت :

– ماذا تعنين ؟

تحركت (ريهام) نحوها في انفعال واضح وهي تقول :

– أعني ماذا يكون رأي (أحمد) لو أنني استطعت

الزواج منه ، والاحتفاظ بالثراء معاً ؟

ظلت (هالة) تنطلع إليها لحظة في دهشة ، ثم قالت

وهي تنهض من مقعدها :

– لست أدري ماذا يكون رأيه ، ولكن ..

أمسكت (ريهام) كفي (هالة) وهي تقول في ضراعة :

– دعيني أحاول .. أرجوك .

جذبت (هالة) كفيها في رقة ، ووقفت تنطلع إلى

عيني (ريهام) الزرقاوين بعض الوقت ، ثم قالت في

هدوء :

– لا أحد يملك منعهك من المحاولة يا (ريهام) ،

ولكن ...

وتحولت لهبتها فجأة إلى الصرامة وهي تستطرد :

– إن (أحمد) هو شقيقى الوحيد ، وأنا أحبه كما

لا يمكنك أن تتصورى ، ولن أسمح لأحد أن يؤذى

مشاعره ، وهو طالب متفوق كما تعلمين ، وهو يحلم

منذ التحاقه بكلية الآداب بالحصول على وظيفة معيد

وسط هيئة تدريسيها ، وهذا يستلزم راحة نفسية تؤهله

للاستذكار والتفوق ، وقصتكما تمنعه من ذلك ، وأنا لن

أقبل أن تتحطم أحلام شقيقى الوحيد من أجلك ..

حاولت (ريهام) أن تقاطعها ؛ لتخبرها أنها أيضاً

تتمنى كل النجاح والتفوق لـ (أحمد) ، إلا أن (هالة)

ظلت تواصل في صرامة :

– وكل ما أطلبه منك هو سرعة حسم هذا الأمر ،

فما زلنا في بداية العام الدراسى ، وسيمكنه التغلب على

صدمة القرار لو أنه أتى على غير ما يرغب ..

نعمت (ريهام) في توصل :

– (هالة) .

إلا أن (هالة) تابعت في قسوة :

نهض الأستاذ (وجدى صالح) المحامى من خلف مكتبه بصافح (ريهام)، ولم تحف عليه عيناها الذابلتان، ولا وجهها الشاحب، وجسمها النحيل، وأشار إليها فى احترام أن تتخذ المقعد المقابل لمكتبه، ثم جلس يتظاهر بتنسيق بعض الأوراق فوقه، قبل أن يشبك أصابع كفيه فوق المكتب، ويسألها فى فضول لم تخطئه أذناها:

- خيراً يا سيدة (ريهام)، قلت: إنك تريدنى لأمر هام وعاجل.

نقرت (ريهام) بأطراف أصابعها على سطح المكتب وهى تقول:

- أردت استشارتك حول وصية زوجى الراحل المرحوم (عبد الحميد)، وأعنى الجزء الذى يخصنى منها.

اعتدل وهو يسألها فى اهتمام:

- ماذا عنها؟

سألته فى تردد:

- هل تراها قانونية؟

حرك كتفيه وهو يقول فى حذر:

- اتخذى قرارك بقبول أخى .. أو ابتعدى عنه تماماً .. لا تحطى كل أحلامه.

انسالت دمعة صامته من عين (ريهام)، وهى تقول فى صوت مختنق:

- أنا أحطم أحلام (أحمد)؟!

حدّجتها (هالة) بنظرة قاسية وهى تقول قبل انصرافها:

- اتخذى قرارك يا (ريهام).

ظلت (ريهام) شاردة بعض الوقت بعد انصراف (هالة)، ثم تحركت نحو الهاتف فى بطاء، كما لو أنها تحمل فوق ظهرها أثقال الدنيا كلها، ورفعت السماعة، وأدارت أناملها قرصه، وانتظرت حتى جاءها صوت محدثها فى الجانب الآخر، فقالت فى صوت هو أقرب إلى الرجاء:

- أستاذ (وجدى صالح) .. أنا (ريهام فتح الله)، أريد مقابلتك لأمر بالغ الأهمية .. سأحضر إليك فى الصباح، وكل ما أرجوه أن تحاول معاوتى فيما سأطلبه منك، فهذا هو أملى الوحيد.

— إلى حد ما .

تطلعت إليه في دهشة ، وقالت في لهجة أقرب إلى

الحدة :

— ماذا تعنى بقولك إلى (حد ما) ؟ .. أمى قانونية أم لا ؟

صمت المحامى لحظة ، وكأنه يستعيد ما بذكرته من

قواعد قانونية ، ثم قال :

— وصية المتوفى تحترم دائماً ، ما لم يعترض أحدهم

على مضمونها ، وما لم تكن غير شرعية .

كادت تقفز من مقعدها وهي تهتف :

— هل تعنى أنه كان بوسعى الاعتراض على الوصية ؟

أسرع يقول وكأنه يدافع عن نفسه :

— ولكنك لم تطلبي ذلك .

بدت كما لو كانت ستنفجر بالبكاء وهي تقول في

صوت خافت :

— لماذا لم تخبرني بذلك ؟

لوح المحامى بذراعيه ، وقال :

— لم تبد عليك الرغبة في الاعتراض في حينه ، ولما لم

يعترض أشقاء المرحوم تصورت أن الوصية توافقكم جميعاً .

صاحت في غضب :

— ولماذا يعترضون ؟ .. إن وصية شقيقهم الراحل

محرمنى التمتع بنصيب من ثروته في حالة زواجي ، وتكتفى

بمنحى عائداً لثالث ثروته ، ثم إنها تعطيهم الأمل في أن

أتزوج يوماً فتعود إليهم ثروته ، لماذا يعترضون إذن ؟

أجهشت بالبكاء ، على حين اكتسى وجه المحامى

بشعور جارف بالذنب ، وأخذ يطرع أصابعه في توتر

وعصبية ، حتى جففت هي دموعها ، وسألته في حدة :

— ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟

قلب كفيه في ارتباك ، وقال :

— القانون يطلب الاعتراض خلال ستين يوماً من

الاطلاع على الوصية ..

صاحت في غضب :

— هل تعنى أن أوان الاعتراض قد فات ؟

صمت لحظة وهو يتأملها في ارتباك ، ثم خفض

عينيه ، قائلاً :

— أعتقد أنه يمكننا الاعتراض بأن الضرر لم يتبين

للمتضرر إلا في ...

قاطعته في حزم :

- هل هناك أمل ؟

صمت لحظة ، ثم أجابها :

- بالطبع .. إنها قضية مضمونة ، لو أننا ...

عادت تقاطعه وقد بعثت كلماته الأمل في نفسها :

- دعك من الشرح القانوني ، فلن أفهم منه شيئاً ،

المهم أن تتولى هذه القضية باسمي ..

ثم صمتت لحظة ، وعادت تسأله في حذر :

- هل أنت متأكد من حصولي على نصيبي من الثروة

بعد رفع القضية ؟

مط شفثيه ، وقال : لقد أنفقت الكثير خلال الشهور

الماضية ، وأعتقد أنك لن تحصلي على الفيلا ..

هتفت في سعادة :

- الفيلا لا تعينني ، فلتذهب إلى الجحيم ، وسأحصل

على غيرها ، بل أجمل منها ..

أسرعت تغادر مكتبه وقلبا يرقص فرحاً ، وانطلقت

بسيارتها إلى قصر العيني ... كان الجزء الأول من محاولتها

قد نجح نجاحاً يفوق كل ما كانت تتمناه ، وبقى عليها أن
تحاول إنجاز الجزء الثاني ..

طرقت باب حجرة (أحمد) ، ثم دفعته في عجلة ،

واندفعت إلى الداخل ومحاها يتهلل بشراً ، ولكنها توقفت

فجأة ، وتخضب وجهها بحمرة الخجل عندما تطلع إليها

(أحمد) في دهشة ، والتفتت إليها شقيقته (هالة) في

تساؤل ، ولم يلبث خجلها أن تحول ضيقاً اعتصر قلبها

عندما أشاح عنها (أحمد) بوجهه ، ونهضت (هالة)

تصافحها وهي تنفوس في ملامحها بحثاً عن مبرر للبشر البادي

في ملامحها ، ثم تصنعت المرح وهي تقول :

- لقد حضرت في وقت مناسب ، كنت أفكر في

الانصراف ، وستحلين محلي في الجلوس مع (أحمد) .

قالت عبارتها وأسرعت تنصرف ، كى تفسح لها

المجال للحديث ، ومضت فترة من الصمت و(ريهام)

تتطلع إلى (أحمد) ، وهو يشيح بوجهه عنها ، ثم اقتربت

منه بخطوات بطيئة ، ومست كتفه بأناملها في رقة ، وهي

تسأله في همس ، يفوح منه عبير الحب :

- كيف حالك ؟

أجابها باقتضاب :

— بخير حال .

عادت تسأله في همس حنون :

— هل تستذكر محاضراتك بانتظام ؟

التفت إليها بوجهه ، وتطلع إلى عينيها بعينه السوداءوين العميقتين ، وكأنه يحاول أن يستشف منها ما يدور في أعماقها ، وشعرت هي بعينه تحوطانها ، وتبعثان في أعماقها الدفء والحنان ...

شعرت أنها تحبه كما لم تفعل من قبل ، وأنها قادرة على تحطيم كل الأسوار من أجله ..

شعرت بقوة بعثها دفاء عينيه في نفسها ، وبحنان دافق يسرى في عروقها ..

وهمست في سعادة :

— وجدت حلاً لمشكلتنا .

اختفى الدفاء والحنان من عينيه فجأة ، وحل العناد والصرامة محلها ، حتى أنها ندمت على التفوه بعبارتها في ذلك الوقت ، وسرى الحزن إلى قلبها عندما عاد يشيح بوجهه عنها ، قائلاً في سخرية مريرة :

— وهذا الحل يحتفظ بي وبالأموال أيضاً.. أليس كذلك؟

انطلق النقاش بينهما حينما قالت في ضيق :

— لماذا تصر على اعتبار المال عاراً؟

— العار هو أن نضع البشر والمال في كفة واحدة .

— الحياة تصبح أكثر متعة مع وجود المال .

— ولكنها لا تفقد رونقها بدونها .

— الحب يفقد قيمته مع الفقر .

— الحب الحقيقي لا يفقد قيمته مهما كانت الأسباب .

— هل تعلم ما يمكن أن يفعله نصف مليون جنيه؟

— بالطبع إنه يعطى المرأة شعوراً بالتفوق ، حينما

لا يملك زوجها مثله ، ويجعلها تظن أنها قد أصبحت صاحبة

الكلمة الأولى في منزل الزوجية .

عند هذه النقطة تفجر الغضب في أعماق (ريهام) ،

فهمتفت :

— هل تظن أن الثراء الذي أتمتع به سيدفعني إلى محاولة

فرض آرائى و ...

وبترت عبارتها فجأة ، حينما قفزت إلى ذهنها صورة

والدها ووالدتها وأشقائها في الفيلا ، بعد أن أصبحت هي

صاحبة المال ... تذكرت انطواء والدها وانعزاله ، وعدم
رغبته في حسم الأمور كسابقه ، وملل والدتها وخوفها
من ثورتها وغضبها ، وعدم طلب المعاونة منها تماماً ،
وتذكرت اعتماد أشقائها عنها ، وخوفهم وحذرهم منها ..
كل هذا لأنها صاحبة الأموال .. وهذا يعنى أن
منطق (أحمد) سليم .. ، ولكن لن نحاول فرض سيطرتها
على (أحمد) ، مهما بلغ تراؤها ..

لقد أحبت رجولته الدافقة ، وشخصيته القوية ، ومن
المستحيل أن تحاربهما لمجرد أنها تملك المال والثراء ..
سألته في ألم :

— لماذا تصر على إغلاق كل الأبواب في وجهي ؟
قال في عناد :

— إنني أفتح أمامك باب الحب الحقيقي ..
قالت في يأس :

— ولكنني أحبك حقاً .
قال في حدة :

— بل كنت تحبين (عبد الحميد) بأكثر مما تحبينني .
تراجعت في دهشة وهي تهتف :
— أنا كنت أحب (عبد الحميد) ؟ !

قال في سرعة :

— بلا شك ، لقد تخليت عن كل شيء من أجله ،
وترفضين التخلي عن أى شيء من أجلى .

عادت تهتف في دهشة :

— أنا تخليت عن كل شيء من أجل (عبد الحميد) ؟
عاد يشيح بوجهه ، مغمغماً :

— هكذا أفضل أن أرى الصورة ، فزواجك
(عبد الحميد) حباً أفضل من ارتباطك به مالا ، في
رأى على الأقل .

شعرت بيد باردة تعتصر قلبها ، عندما تبينت كيف
ينظر إليها .. كان يراها كبغي باعت نفسها من أجل المال ..
آلمها رأيه فيها ، وحطم الأمل في أعماقها ، وطعن
كرامتها ، وأسأل دماءها ..

تراجعت مبتعدة عنه ، وهي تقول :

— أنت تكرهني ولا تحبني ..

استدار إليها في دهشة ، وأطل الحب واضحاً في
عينيه ، ولكن كرامتها الجريحة حجبت عنها نظرات
الحب ، فواصلت تراجعها وهي تلوح بكفها أمام وجهها ،
وتقول في هستيرية :

٩ - العودة ..

عاد كل شيء إلى ما كان عليه قبل أن تلتقي (ريهام)
بـ (أحمد)

عادت حديقة القبلا تصخب بالحفلات ، التي ضاقت
فترات الهدنة بينها ، حتى كادت تتحول إلى واجب يومي ..
ازداد انطواء والدها ، وزاد من مرات خلوته
بنفسه في حجرته ...

تضاعف الحزن في عيني أمها ، وقلبيها ، وبدأت
أمراض الوهم تطاردها ...
كثرت ابتعاد أشقائها عنها ، وازداد نفورهم من عصبيتها
المتزايدة ...

ولكنها كانت تحاول أن تنسى ، وأن تعود إلى ما كانت
عليه ، ولكن هيات ..
لقد حفر (أحمد) حبه في قلبها ، حتى بات وشماً لا يمحى ..
وشقت آلام التجربة نفسها ، فبدلت منها النفس والروح ..
أصبحت (ريهام) أكثر تمسكاً بالرفاهية والثراء ،
وأكثر إحساساً بالوحدة واليتم ..

لقد كنت تعبت في منذ البداية ، إنك لم تحبني أبداً.
أفزع ما فعله بها ، وعض الندم أغواره ، وهتف يناديها :
- (ريهام) ..

صرخت في غضب :

- لا تنطق اسمي مرة أخرى .

اعتصر الحزن قلبه وهو يتطلع إليها في دهشة ، ولكنها
صرخت في جنون :

- لا أريد أن أراك بعد الآن .. لم أعد أريدك ..
لم أعد أهواك .

صاح وهو يرفع كفه إليها :

- كفى يا (ريهام) .

ولكنها استدارت فجأة ، وانطلقت تعدو مغادرة الحجرة
والمستشفى بأكملها ، وتركت خلفها يهتف باسمها في ندم ولوعة ،
وتفجرت الدموع من عينيها وهي تقود سيارتها إلى القبلا ..
دموع اليأس والهوان ..

لم يعد أمامها سوى أن تعترف أن محاولتها قد فشلت ،
وأنها هذه المرة قد فقدت (أحمد) إلى الأبد .

فقد كل شيء متعته في أعماقها .. وفقدت أعماقها كل
إحساس بالمتعة والسعادة ..

لم تعد إلى جوار فراشها روايات عاطفية ،
أو أقصوصات غرامية ..

لم تعد تبكي ، وكان دموعها قد جفت حقاً ..

كانت تفعل كل ما بوسعها في محاولة نسيان حبها
الذي وأده القدر قبل أن ينضج ..

ولكنها في تلك الليلة من ليالي صيف يوليو الحارة
كانت قد بلغت من اليأس مبلغه .. وكانت هناك سيئة
أخرى قد أضيفت إلى حياتها ... أصبحت تدخن السجائر
بشراهة ، ومحد ..

لم يعترض والدها ، واكتفى بتمتات حانقة كلما وقع
بصره عليها ، وهي تشعل واحدة من سجائر التي
لا تنطق ، ولم تعترض والدتها ، وإنما ظلت تدعو لها
بالهداية من حين لآخر ، وبدأ جمالها يذبل ويلوى مع تلك
الحياة المسرفة التي تحياها .. لم تكن عيناها تنعم بالنوم
إلا لماماً ، ولم يكن جسدها يشعر بالراحة إلا قليلاً ..

وفي تلك الليلة بالذات تذكرت (أحمد) ، فانزوت
في ركن من شرفة الفيلا وحيدة ، تشعل سيجارة تلو
الأخرى ، وتنثف الدخان وهي تتطلع إلى السماء الصافية ،
كانت قد مرت شهور ثمانية منذ ذلك اللقاء المحيط
بينها وبين (أحمد) ، ومنذ ذلك الحين حرصت جيداً على
العمل بنصيحة (هالة) ، فلم تذهب إلى كليتها مطلقاً ،
وانسحبت من حياة (أحمد) كلية ، حتى تفسح له طريقاً
التفوق الذي يحلم به ..
لم تحاول حتى تعقب أخباره ، خشية أن يعاودها
الجنين ، فتهرع إليه ، وتضيف متاعب أخرى إلى متاعبه ..
ولكن تلك الليلة بالذات كانت تعنى لها الكثير ،
فغداً تعلن نتائج امتحان السنة النهائية بالكلية ، وهذا الخبر
وجده كفيفيل بأن يحتل (أحمد) أفكارها حتى الأعماق ..
وجدت نفسها تدعو له من أعماق قلبها أن يحصل
على المركز الأول كما كان يتمنى ، وشئعت بخوف
ينتابها خشية فشله في ذلك ، فقلد كانت تعلم أنه لو حدث
ذلك ، فسيقتلها تأنيب الضمير ، وستعد نفسها المسهولة
عن ذلك الفشل ..

تضرعت إلى الله من أعماق أعماقها أن يكون (أحمد)
في أول قائمة الناجحين ، وعاودها الحنين ذافقاً في تلك
الليلة ، وتمنت لو أنها رآته مرة واحدة ، وسبحت في
بحر الحنان الذي يطل من عينيه ، وتمنت لو أنها غاصت
في أعماق دفة شخصيته وعمقها ..

أغلقت عينها في نشوة ، وسبحت بخيالها إلى جنة
العشاق ، ذلك المكان الوهمي حيث يلتقي كل الأحبة ،
دون مشاكل أو قيود .. حيث تتدفق أنهار الحب وسط
بستان العشق ، الذي تنبت فيه زهور الهيام ..

رأت نفسها تلتقي بـ (أحمد) هناك ، وهو يتسم في حب
وحنان ، ويفتح لها ذراعيه ، ورأت نفسها تلوب في
أحضانها ، وتنهمر من عينها دموع لها رائحة الورد ..

رأت (أحمد) ينحني على وجنتها ، ويخفف دموعها
بشفتيه ، ثم يتطلع إليها في وله ، وابتسامته الجذابة تتسع ..
تتسع حتى تشمل وجهه كله ، وتبتلع أحزانها كلها ..

تمنت في تلك اللحظة لو أن الله - سبحانه وتعالى -
قد وهب الإنسان القدرة على تحويل أحلامه إلى حقائق ،
ليصنع عالمه الخاص ، الخالي من المتاعب والمشاكل ...

خيال إليها - وقتئذ - أنه هكذا ستكون الجنة ..
عالم يحقق فيه كل إنسان أحلامه ، عالم لا مكان فيه للآمال
وكل ما يجلبه من مشكلات ، عالم تكون العملة الوحيدة
فيه هي الحب ...

هبطت بخيالها فجأة إلى عالم الواقع ، حينما سمعت
صوت شقيقها الأصغر يقول :

- الأستاذ (وجدى) الهامى يطلبك هاتفياً .
ألقت سيجارتها وسط أعشاب الحديقة ، وأسرعت
إلى الهاتف ، وقد انتابتها دهشة عجيبة ، فلقد تذكرت
- حينئذ - فقط القضية التي طلبت من الأستاذ (وجدى)
إقامتها منذ ثمانية شهور ، وكانت قد نسيت كل شيء عنها
بعد لقائها المؤسف الأخير مع (أحمد) ..

وضعت سماعة الهاتف على أذنها ، وقالت في لهفة :
- خيراً يا أستاذ (وجدى) .

أجابها الهامى :
- خيراً يا أستاذ الله .. لقد أقام أشقائنا وجك دعوى أخرى
مضادة يطلبون فيها رفض الدعوى المرفوعة منا بالاعتراض على
تنفيذ الوصية ، وهم يعتمدون على عدم اعتراضنا في الموعد القانوني .

سألت في عصبية :

— وكيف عرفوا بقضيتنا ؟ وماذا يضيرهم في حصولي على نصيبي ؟

أجابها في تردد :

— كان لا بد من إعلامهم ، هكذا ينص القانون ، ما داموا من الأطراف المعنية .

صاحت في غضب :

— وتقول لي هذا بعد ثمانية شهور !!

أجابها في ضيق واضح :

— هذه القضايا تستغرق عدة سنوات في بعض الأحيان .

هتفت في ضيق :

— عدة سنوات ؟ !

تملكها شعور جارف باليأس ، وتحولت لهجتها من

الغضب إلى الرجاء وهي تقول :

— هل هناك ما يمكننا فعله ؟

أجابها في هدوء :

— إنني أحاول ما بوسعي ، ولكنني أردت أن

تتابعني تطور الأحداث

صمتت لحظة أقلقته ، ثم نغممت في هدوء :

— شكراً يا أستاذ (وجدي) ، وأرجو أن تحاول جهدك كله من أجلي .

وعدها المحامي أن يفعل ، وأنها هي الاتصال ، وظلت صامته ثابتة كالتمثال بعض الوقت ، حتى سمعت

والدتها إلى جوارها تقول في لهجة تم عن قلق بالغ :

— لقد حضر أشقاء زوجك الراحل يا بنتي ، وهم يطلبون مقابلتك .

زفرت في ضيق وهي تقول :

— دعى والدي يقابلهم .. إنني أكره رؤيتهم ..

ترددت أمها لحظة ، ثم قالت :

— أنت تعرفين والدك يا بنتي .. إنه يرفض التدخل في شئونك الخاصة .

قالت في ضجر :

— حسناً .. سأقابلهم .

كان اللقاء بارداً كالعادة ، وتصافح الجميع في تحد واضح ، ثم جلست (ريهام) ، وبدأت حديثها على الفور

قائلة :

– أى رياح شريرة ألفت بكم إلى هنا .

تطلعت إليها (فوزية) فى سخرية ، على حين تجهم وجهه (فتحى) ، وصاح (فاضل) فى غضب :

– أهكذا تستقبلين أشقاء زوجك الراحل ؟

تراجعت بظهرها إلى الوراء ، وانتزعت من علبة سجائرها سيجارة ، أشعلتها فى تحد ، ونفثت دخانها فى وجوههم وهى تقول :

– لماذا تغضب هكذا يا سيد (فاضل) ؟ .. هل تحاول لإيهامى أنكم قد حضرتم فى أمر خير ؟ .. أراهن أنكم ما حضرتم إلا لشر .

لم يخف عليها تطلع (فوزية) المازى إلى السيجارة التى تحترق بين شفثتها ، ولا النظرات الغاضبة التى تبادلها (فاضل) و (فتحى) قبل أن يقول هذا الأخير ، وهو يعرض شفثته غضباً :

– إننا لم نأت فى خير أو شر .. لقد أتينا نعرض عليك

اتفاقاً يحقق الراحة للجميع .

قالت فى سخرية :

– اتفاق مادم بالطبع ..

لم تستطع (فوزية) كتمان غيظها أكثر من ذلك ، فاندفعت تقول فى تهوؤ :

– وماذا يمكن أن يربط بيننا فى تصورك سوى الأمور المادية ؟

اعتدلت (ريهام) وهى تقول فى عصبية :

– هيا .. ابرزى سمومك أيتها الحية ، لقد أقلتني صمتك حتى الآن .

صرخت (فوزية) وهى تنهض فى غضب :

– ألتقيينى بالحية أيتها المنحرفة ، التى تقيم الحفلات الماجنة ، وتدخن السجائر أمام الجميع .

احتقن وجه (ريهام) غضباً وهى تصرخ :

– صه أيتها الحقيرة .. إننى أشرف من عائلتك كلها .

أسرع (فاضل) و (فتحى) يتدخلان ، قبل أن

يتحول الأمر إلى مشاجرة ، وتشابك بالأيدى ، ولم يلبث

الموقف أن عاد إلى هدوئه ، بسبب فضول (ريهام)

لمعرفة سبب قدامهم ، ورغبة (فوزية) فى إنهاء الموقف ،

وعرض الصفقة التى جاءوا من أجلها ، وبدأ (فاضل)

عرض الأمر بقوله :

— بلغنا أنك قد أمت دعوى رفض وصية شقيقنا
الراحل — رحمه الله — وأنت ترغيبين في الحصول على
نصيبك من الثروة ، بدلا من الاكتفاء بربع الثلث .

قالت (ريهام) في تحد :

— هذا حق .

تدخل (فتحى) قائلا :

— ولكنك لم تتقدمى بالاعتراض في الموعد القانونى ،

وهذا يضعف موقفك فى القضية ، ثم إنك قد أنفقت
الكثير حتى باتت نتائج هذه القضية فى غير صالحك .

أشاحت (ريهام) بوجهها ، وقالت :

— سأتحمل النتائج .

قال (فاضل) :

— ربما يستغرق هذا سنوات .

قالت فى تحد :

— سأنتظر .

تبادل الأشقاء الثلاثة النظرات ، ثم قال (فتحى) :

— ولكننا نحمل حلا أفضل .

سألته (ريهام) فى مخزية :

— أفضل لمن ؟

سيطر (فاضل) على أعصابه ، وحافظ على هدوئه
وهو يقول :

— شقيقى (فتحى) يقصد أن الحل أفضل للجميع .

غلبها الفضول أخيراً ، فقالت فى استسلام :

— هات ما لديك .

تنفس الجميع الصعداء ، وقال (فاضل) :

— إننا نعرض عليك نصف مليون جنيه دفعة واحدة ،

ونقدأ ، مقابل التنازل عن كل نصيبك من الثروة والثيلا .

تطلعت إليه فى دهشة ، ثم أطلقت ضحكة ساخرة

عالية ، وهى تقول :

— يبدو أننى قد أسأت السمع ، أو أنك لم تحسن

عرض صفقتك .

ثم اعتدلت فى جلستها ، وأطفاأت سيجارتها وهى

تستطرد :

— لماذا بربكم أتخلى عن مليون جنيه ، وفيلا رائعة

كهذه ، مقابل نصف مليون جنيه فقط ؟

أسرع (فتحى) يقول فى حنق :

– نصف مليون خالية من الشروط خير من مليون
تقام حولها الأسوار .

احتقن وجهها بعد أن فهمت مغزى عبارته ، على
حين قالت (فوزية) في لهجة أقرب إلى السخرية والشماتة :
– سيمكنك على الأقل أن تتزوجى حبيب القلب
دون خوف .

تفجر غضب مكبوت في أعماق (ريهام) ، وشعرت
أن (فوزية) تنكأ جرحها عن عمد ، مما ملأ نفسها برغبة
قوية في إيذاء هذه العانس ، فسألها فجأة :

– لماذا تسمين خلف الثراء يا (فوزية) ؟
تطلعت إليها (فوزية) في دهشة ، ونعمغت في تحفز :
– ماذا تعنين ؟

تضاعفت رغبة (ريهام) في إيذاء (فوزية) ،
فاندفعت تقول :

– أعني أنك لم تتزوجى بعد ، برغم سنوات عمرك
التي شارفت منتصف الأربعين ، وليس لك أطفال ، ولقد
ترك لك شقيقك – رحمه الله – نصف مليون جنيه
كاملة ، وأنت شحيحة كأفراد عائلتك كلهم ، وهذا

يعنى أن نصف المليون يمكنه أن يكفيك طيلة العمر ،
فلماذا تبحثن عن المزيد ؟

كان وجه (فوزية) يزداد شحوباً كلما أمضت
(ريهام) في حديثها ، وملك الغضب حواسها حتى أنها
عجزت عن النطق لحظات ، قبل أن تهتف في غضب
جنوني :

– ستدفعين ثمن هذه الإهانة .
ثم نهضت في غضب ، وأسرعت تغادر الفيلا يتبعها
أخواها ، وظلت (ريهام) ساكنة صامتة لحظة ، ثم هزت
كتفها في لا مبالاة ، وأشعلت سيجارة جديدة ، وقبل أن
تنفث دخانها انطلق رنين الهاتف ، فالتقطت سماعته ،
ووضعت على أذنيها وهي تقول في تراخ :

– من المتحدث ؟
ولكن صوت المتحدثة لم يلبث أن أطار خمولها ،
وبعث في قلبها دفقاً من الحنان واللهفة ، فوجدت نفسها
تهتف في فرح :
– كيف حالك يا (هالة) ؟ .. لقد اشتقت لصوتك
طويلاً .

لم ترد (هالة) تحيتها ، وإنما بادرته قائلة :

– لقد نجح (أحمد) وحصل على المركز الأول كما

كان يتمنى .

خفق قلب (ريهام) في فرح ، وارتجفت سماعة

الهااتف بين أصابعها ، وتهدج صوتها وهي تسأل :

– كيف عرف ؟ .. أعني كيف علمتم ذلك ؟ ..

إن النتيجة ستعلن غداً .

قالت (هالة) في اقتضاب :

– لقد أخبره رئيس القسم بنفسه ، وهناك على تفوقه .

بكت (ريهام) لأول مرة منذ ثمانية شهور ، ولكن

دموعها هذه المرة كانت مفعمة بالسعادة ، وازداد صوتها

تهدجاً وهي تقول :

– وكيف حاله ؟

أجابتها (هالة) في هدوء :

– هذا ما أتحدث إليك بشأنه ، إنني أرغب في رؤيتك

غداً ، سأحضر لزيارتك في الصباح لأمر يتعلق بك

و(أحمد) ، أمر حان الوقت لمناقشته على الوجه الصحيح .

* * *

١٠ - اللقاء ..

لأول مرة كان للسهر طعم آخر في عيني (ريهام) ،

كان له مذاق الأمل بعد حديث (هالة) ، فلقد قلبت

(ريهام) الأمر على كل الوجوه منذ آوت إلى فراشها ،

وانتهت إلى أنه لا معنى لحديث (هالة) ، إلا أن (أحمد)

قد قرر العودة إليها مرة أخرى ، وبعث هذا الاستنتاج

في نفسها سعادة لا توصف ..

نهضت تبحث عن واحدة من رواياتها العاطفية في

لحفة ، وكأنها تريد التزود بجرعة من العاطفة قبل أن تلتقي

بـ (هالة) ، وشعرت بفرح عجيب حينما عثرت على رواية

قديمة في أحد أدراج دولابها ، واحتضنتها في حب وهي

تعود إلى فراشها ، ومدت يدها لتناول علبة سجائرهما ،

ولكن يدها توقفت في منتصف الطريق ..

تساءلت عن رأي (أحمد) في المرأة المدخنة ،

وابتسمت في حنان وهي تتصوره يطلب منها في صرامة

الامتناع عن التدخين ، وتصورت نفسها ترتجف أمامه

بكل ضعف الأنثى ، وتلقى علبة سجائرهما في خوف ..

كانت تعشق رجولته ، وعناده ، وحزمه ..

كانت تشعر بأنوثتها أمام عينيه الصارمتين ، ورجولته

الدافقة ..

عاودها الحنين قوياً ، وجمع بها الخيال ، وخفق قلبها
في حب ، فتناولت علبة سجائرهما ، ونهضت إلى شرفتها ،
وفتحها .. وظلت تتمتع بالنسيم العليل لحظات ، ثم
ابتسمت وهي تهمس في حب ، وكأنها تتحدث إلى (أحمد) :

— سامحني يا حبيبي .. لن تمس شفتي سيجارة واحدة

بعد الآن ..

وطوّحت علبة السجائر بكل ما تملك من قوة إلى

نهاية الحديقة ...

شعرت بارتياح وهي تعود إلى فراشها ، وعادت

تتناول الرواية العاطفية ، وتلتهم سطورها في شغف ..

عادت تحتل مكان البطلة .. وعاد (أحمد) بطل

الرواية ، وسبحت حتى الصباح في جنة العشاق ..

بدت شديدة المرح وهي تهبط إلى ردهة الفيلا في

الصباح ..

نوردت وجنتها كما لو أن السماء قد تدفقت في

شرايينها ثانية ..

وعادت عيناها تتألقان في حيوية ..

ورقص قلب أمها طرباً ، وهي تستقبلها بين ذراعيها

لأول مرة منذ ثمانية شهور ، ورفعت ذراعيها إلى السماء

تشكر الله — سبحانه وتعالى — على تلييته أذعيتها المتوالية ،

وتطلع إليها والدها في دهشة ، ثم قام يصلي ركعتين

إضافيتين قبل أن يتوجه إلى عمله ، وتجراً أشقاؤها على

معايشتها لأول مرة في أثناء تناول طعام الإفطار ، الذي قاطعته

طوال الأشهر الثمانية الماضية ..

الوحيدون الذين ازدادوا عناء هذا الصباح هم الخدم ،

فقد بدت (ريهام) شديدة الحرص على نظافة وأناقة كل

ركن من الفيلا قبل أن تصل (هالة) ، وفي تمام الحادية

عشرة صباحاً وصلت (هالة) ..

استقبلتها (ريهام) في لهفة ، وأشبعت وجنتها تقيلاً ،

قبل أن تصحبها إلى حجرة الصالون ، ولم يكدها يستقر بهما

المقام حتى هتفت (ريهام) :

كيف حال (أحمد) ؟ ... لا ريب أنه يكاد يطير
فرحاً .

تطلعت إليها (هالة) في صمت أثار قلقها ، ثم قالت
وهي تمط شفيتها :

— هذا ما كنا نتصوره جميعاً ، ولكنه استقبل خبر
نجاحه في لا مبالاة أثارت دهشتنا وقلقنا .

تلاشي مرح (ريهام) دفعة واحدة ، وعاد القلق
ينهبها بأنياه ، وهي تسأل في صوت أقرب إلى الهمس :

— لماذا ؟

تهتت (هالة) قبل أن تقول :

— أنت إجابة هذا السؤال يا (ريهام) .

كانت (ريهام) تتوقع هذا الرد ، وتخشاه .. إلا أنها
انغمغت في ضعف :

— أنا ؟

قالت (هالة) وكأنها تحدث نفسها :

— كان من الواضح أن (أحمد) يبذل مجهوداً إضافياً
بخارقاً ، طوال الأشهر الثمانية الماضية ، حتى يمكنه الحفاظ

على تفوقه ، والوصول إلى ما يتمناه ، ولقد حاولنا

جميعاً ، أنا ، وأبي ، وأمي ، أن نهبي له المناخ المناسب
للاستذكار ، إلا أننا كنا نشعر دائماً بما يعانيه ، وأنه
ما زال هناك شيء هام ينقصه .

رددت (ريهام) في شرود :

— شيء ينقصه ؟

رفعت (هالة) عينيها إليها ، وقالت :

— أنت يا (ريهام) .. إن (أحمد) ما زال يعاني حبك .

عادت (ريهام) تردد :

— حبي ؟ .. أنا ؟

قالت (هالة) :

— نعم يا (ريهام) .. إن (أحمد) غارق حتى أذنيه

في حبك .. لم يعد يرغب في سواك .. تضاءلت أمام ذلك

كل أحلامه وأمانيه ، لهذا لم يشعر بالفرح حينما علم

بمصوله على المركز الأول كما كان يتمنى طيلة عمره .

أطرقت (ريهام) وهي تغغم :

— وماذا يمكنني أن أفعل ؟

ترددت (هالة) لحظة ، قبل أن تبوح بما لديها ، قائلة :

— (أحمد) سيتزوج يا (ريهام) .

رفعت (ريهام) رأسها إلى (هالة) في حدة ،
وتحجرت الدموع في عينيها وهي تتأمل ملامح هذه
الأخيرة ... تمنيت لحظة أن تكون كاذبة .. أو تكون
أذناها قد استقبلتنا الكلمة بمعنى آخر ، وهمت في جزع
لم تحاول إخفاءه :

- يتزوج ١٩

جاء دور (هالة) لتطرق برأسها وهي تقول في حزن:
- نعم يا (ريهام) .. إنه يريد الزواج من ابنة عم لنا ،
وأنا واثقة أنه لا يحبها ، بل ولم يفكر يوماً في الزواج
منها ، ولكنه يحاول الهروب من ذكراك .

شعرت (ريهام) بغصة في حلقها منعها من النطق ،
وجاهدت كي تمنع دموعها من الانهيار على خديها ،
ومضت فترة طويلة قبل أن تترك لدموعها العنان ، وتقول
في صوت متحشرج :

- ولم أتيت تخبريني ذلك ؟ .. هل استبدت بك الرغبة
في الشهادة ؟

همتت (هالة) في جزع :

- الشهادة ١٩ .. يعلم الله أن هذا آخر ما يدور بخلدى ..

ثم نهضت تقرب من (ريهام) مستطردة :

- لقد طلبت منك الابتعاد عن (أحمد) منذ ثمانية
شهور ، خوفاً على مستقبله ، وحرصاً على تفوقه ، ولأننى
كنت أعلم أنه يفكر - حينذاك - بأسلوب صحيح ..
أما الآن فأنا أرى أنه يحطم نفسه ، ويسىء إلى ابنة عمى ،
حينما يقرر الزواج بها ، دون أن يخرج من دائرة حبك .
شعرت (ريهام) بحاجتها الشديدة إلى إشعال سيجارة ،
كى تنفث حزنها وغضبها مع دخانها ، وأورثها عدم وجود
مبائرها مزيداً من التوتر ، فصاحت :

- وماذا تريد منى أن أفعل ؟ هل أذهب إليه ،
وأركع تحت قدميه ، وأطلب منه أن يتزوجنى أنا ؟
قالت (هالة) في ارتباك :

- ربما لو تقابلتما ..

صرخت (ريهام) تقاطعها :

- كلا يا (هالة) .. لن أسعى خلف رجل يطلب

غيرى للزواج .

قالت (هالة) في ألم :

- لن يلومك أحد ما لم تفعل ، ولكنني أظن الندم
سيقتل كليكما لو أنكما افترقتما على هذا النحو ..

ارتعد جسد (ريهام) من شدة البكاء وهي تقول :
- ولماذا لا يقدم هو على لقائي ؟ .. لماذا يتجنبني
كما لو كنت عاراً ؟

هزت (هالة) رأسها في إشفاق ، وقالت :
- (أحمد) عنيد للغاية يا (ريهام) .. وحياته لا تدور

كلها في فلك عواطفه ، وإلا لفشل في تحقيق هذا النجاح
والتفوق ، وسط ما كان يمر به من ألم عاطفي .. إنه يؤمن

تماماً أن الحياة مزيج من العقل والقلب ، ويعتقد أن الإنسان
الأحمق فقط هو من يطلق العنان لقلبه ، ويسمح له

بالسيطرة على عقله .. وهو يهواك من كل قلبه ، بل إنني
أقول في ثقة : إنه لم يحب غيرك طيلة حياته ، ولكن عقله

يرفض الزواج من فتاة تملك التفوق المادي عليه ، ربما لأن
هذا سيورثه شعوراً بالعجز ، وهو يكره مثل هذا

الإحساس .
أجهشت (ريهام) بالبكاء وهي تهمس :

- إنني أحبه يا (هالة) .. أحبه بكل حساسي
ومشاعري .

ربّنت (هالة) على كتفها وهي تقول :

- إنه يحتاج إلى دليل يؤكد له ذلك يا (ريهام) .

شعرت (ريهام) مرة أخرى بعجزها عن الاختيار ،
واعترفت لنفسها أنها أضعف من أن تتخلى عن كل هذا

الثراء من أجل من تحب ، ودفعها هذا إلى تساؤل جديد ..
هل تحب (أحمد) حقاً ؟ .. هل يمكنها أن تترك كل شيء

من أجله ؟ ..
رفعت عينيها إلى (هالة) ، وجففت دموعها وهي

تقول في استسلام :
- أين أجد (أحمد) الآن ؟

تهللت أسارير (هالة) وهي تقول في فرح :

- في المنزل .. وسيسعدك أن تذهبي لتهنئته .

لم تتردد (ريهام) طويلاً .. هكذا قالت لنفسها وهي
تقود سيارتها إلى منزل (أحمد) ، وإلى جوارها (هالة) ..

لم تتبادلا كلمة واحدة طوال الطريق ، سوى

الإرشادات التي كانت تدلى بها إليها (هالة) ، لتقودها
إلى منزل عائلتها ..

وحينما توقفت السيارة شعرت (ريهام) باضطراب
يسرى في جسدها ، وبدأت تهم نفسها بالحماقة على
موافقتها على مقابلة (أحمد) في منزله ، ووسط عائلته ،
وازداد ترددها وتوترها وهي تصعد في سلم المنزل إلى شقته ،
حتى وصلت إلى ذروة الانفعال ، وبلغت ضربات قلبها
الحد الأقصى ، عندما دست (هالة) مفتاحها في ثقب
الباب ، ودفعته لتقفز داخل الشقة ، وتنادى شقيقها في
لهفة ..

تلفتت (ريهام) حولها تتضحص المنزل وأثاثه البسيط ،
وأعاد إليها ذلك النسق الحنين إلى منزل عائلتها القديم ،
وشعرت لأول مرة منذ سنوات بدفء العائلة ، ولذة
الارتباط ..

جف لعابها ، وارتعدت أطرافها حينما برز (أحمد)
من حجرة جانبية باسم الثغر ، تلوح في ابتسامته حلاوة
النصر ، وعذاب الحرمان ، ولم تكده عيناه تلتقطان وجهها
حتى اختفت ابتسامته ، وارتسم مزيج من الدهشة والمفاجأة

في عينيه ، على حين أسرعت (هالة) تحتضنه وهي تقول
في مرح وسعادة :

— لقد أصرت (ريهام) على تهنتك بنفسها حينما بلغها
خبر نجاحك وتفوقك يا (أحمد) .

لم يبد على (أحمد) أنه قد سمع كلمة واحدة مما
نطقت به شقيقته ، بل تعلقت عيناه العميقتان بعيني
(ريهام) الواسعتين ، وكذلك فعلت هي ..
كان كلاهما يرتعد في أعماقه ، وإن لم يبد هذا في
مظهرهما ...

كان قلب (أحمد) يذوب حباً ولهفة ...

وقلب (ريهام) يرقص في فرح للقاء ...

والتقت نظراتهما طويلاً في صمت ..

ولكنه كان صمماً يحمل ما هو أبلغ من كل أبيات
الشعر ، التي وضعت في الحب والعشق والهيام ..

كان فم كل منهما مغلقاً ، ولساناهما لا ينطقان ..

ولكن عيونهما قالت ما يعجز عنه اللسان ..

قالت عيناه : أحبك ، ولكن ...

وقالت عيناه : اغفر لي ضعفي ..

سيطر الحزن والندم على مشاعر (ريهام) ، وهي تقود سيارتها في طريق العودة إلى القيلا ، وعضت شفيتها في ألم وهي تسترجع مشاهد لقاءها مع (أحمد) ..
كان من الواضح أن هذا اللقاء قد بعث في نفسه حينئذ دافقاً لها ...

وأن حبه لها لم يخب لحظة واحدة طوال الأشهر الماضية ..

ولكن عناده كان يأبى عليه الاستسلام لمنطقها ..
ما زال يرفض أن يسمح لها بالجمع بينه وبين الثروة التي ورثها عن زوجها الراحل ..

ما زال يرفض الزواج من امرأة تفوقه ثراء ..
وهي ما زالت ترفض التخلي عن ثروتها من أجله ...
عادت تتذكر كيف استقبلها في برود ، كما لو كانت مجرد ضيفة عادية أقبلت لتهنئته ..
كيف تحدث إليها طوال ساعة كاملة في هدوء ،

وفي هدوء تحرك هو نحوها ، وازداد ارتجاف جسدها مع كل خطوة يخطوها قرباً منها ، إلى أن أصبح يقف أمامها تماماً .. والتقت عيناهما في عتاب طويل ..
مدّ هو كفه يصافح كفها الرقيقة ، وتركت كفها تستكين في راحته مرتعدة دافئة ، واحتفظ هو به طويلاً ، ثم مال نحوها حتى خيل إليها أنه سيقبلها أمام شقيقته ، واحمر وجهها خجلاً لمجرد تصور ذلك ، إلا أنه اعتدل فجأة ، وترك كفها تسقط من راحته ، وهو يقول في برود حطم آمالها :

- شكراً على تهنئتك يا سيدة (ريهام) .. أعتقد أن هذا لا يسىء إلى ثروتك .. أليس كذلك ؟



دون أن يذكر كلمة واحدة تشير إلى جبهما ، أو إلى
زواجه المرتقب من ابنة عمه ..

لقد شعرت من استقبال أمه لها أنها تعلم بجبهما ،
وتباركه ، وتتمناه ..

وأحست أن والده يرى فيها خير زوجة لابنه الوحيد ..
ولكنه هو يرفضها إلا بشروطه .. وهي ترفض قبول
هذه الشروط ..

تمنت لو أنهما بطلا قصة سينائية .. حيث يعيشان
الحب بكل ما فيه من حنان ودفء ، على حين يرفض
أهلها زواجهما ..

كانت مشكلتهما على العكس من ذلك ، فهو يحبها ،
وهي تحبه ، ولكن ثراءها يصنع حاجزاً صلباً بينهما ..
حاجزاً لا يمكنها التخلي عنه .. ولا يمكنه قبوله معها ..
مرة أخرى تعود إلى حتمية الاختيار .. الاختيار الذي
تحافه وتخشاه .

أوقفت سيارتها داخل حديقة الفيلا ، وصعدت في
سلامها في تراخ وإحباط واضحين ، ورفضت تناول
طعام الغداء ، وصعدت إلى حجرة نومها ، وأغلقت بابها

خلفها في إحكام ، وكأنها ترفض أو تخشى أن يقتحم
أحدهم خلوتها ..

لم تكن تشعر في هذه اللحظة بالحزن أو السعادة ..
بالقهر أو الأمل .. كانت مشاعرها قد تبلدت تماماً حينها
وصلت إلى هذا الطريق المسدود ، ولأول مرة منذ بدأت
علاقتها مع (أحمد) أخذت تفكر في الأمر دون توتر
أو انفعال .. بنفس مشاعرها المتبلدة ..

سألت نفسها ماذا أعطهاها الثراء ؟ .. وماذا أخذ منها ؟
ماذا أضافه إلى حياتها ؟ .. وماذا حرمها إرثه ؟ ..
لأول مرة منذ زمن طويل ، وفي حالة نادرة من

حالات مواجهة الإنسان لنفسه في صدق ، أخذت (ريهام)
تعيد تقييم كل ما مرّ بها منذ تزوجت (عبد الحميد) ..
وفي شجاعة قلما يحظى بها الإنسان في أعماقه قررت

(ريهام) أن تواجه نفسها ، وتملكها شعور جارف أن
مستقبلها كله يعتمد على نتائج هذه المواجهة ..

وفي نفس هذه اللحظة كان (أحمد) يجلس صامتاً في
حجرته ، وقد تملكه شعور قوى بالندم ، وودّ لو أنه

استطاع أن يذهب إلى (ريهام) ، ويركع تحت قدميها ،
طالباً منها الصفح عما بدر منه معها في منزله ..

ولكن كبرياءه وعناده سرعان ما تدخلوا ، يمحوا هذا
الشعور من نفسه ، فرفع رأسه إلى شقيقته (هالة) ، التي
تجلس ساهمة أمامه ، وقال في صوت خافت :

- من المستحيل أن نلتقي أنا وهي .. أليس كذلك ؟
رفعت إليه (هالة) عينين خاليتين من أى تعبير ،
ولم تمنحه أية إجابة عن سؤاله ، فعاد يغمغم في لهجة حاول
أن يقنع بها نفسه :

- لا ينبغي للرجل الذى يرغب فى النجاح أن يطلق
العنان لعواطفه و ...

قاطعته (هالة) فى لهجة حادة :

- كفى يا (أحمد) ..

تطلع إليها فى دهشة ، وغمغم :

- (هالة) ؟ !

صاحت فى غضب :

- قلت لك كفى ..

كانت المرة الأولى فى عمرها ، التى تثور فيها عليه

أخته الصغرى ، مما ضاعف دهشته وهو يهتف :

- ماذا أصابك ؟

لوححت بلراعتها فى غضب وهى تقول :

- لقد أصابنى الضيق مما تفعله بهذه المسكينة .

تمتم فى ذهول :

- المسكينة ؟ !

صاحت فى تحد :

- نعم (المسكينة) .. إنها تحبك إلى حد يكفى لإذابة

قلب من صخر ، وأنت تحطمها ، وتبعث فى قلبها اليأس
كلما التقيتها .

لم يستطع (أحمد) أن يواجه ثورة شقيقته لشدة

دهشته ، على حين تابعت وهى تنهض وتتحرك بعصبية فى

أرجاء حجرته :

- لقد حاولت المسكينة الكثير حتى تحظى بلفتة

حب واحدة منك .. زارتك فى المستشفى ، فواجهتها

بيرود وعناد ، ثم تحاملت على نفسها ، وتنازلت عن

كبريائها وجاءت تهتك فى منزلك ، فتعاملت معها

بأسلوب يتنافى حتى وكرم الضيافة ، وتركها تغادر المنزل
كسيرة القلب ، محطمة القوادى ..

قال في صوت واهن ، وكأنه يحاول الدفاع عما فعل :
- ولكنها تضع المال في المركز الأول من حياتها و...
قاطعته في حق :

- أنت أيضاً تفعل ذلك دون أن تدري .
صاح في غضب ، وكأنه يطلب منها بتر حديثها ،
إلا أنها واصلت في عناد :

- إنك تطلب منها التخلي عن كل ما لديها من أموال
دون أن تقدم لها المقابل ، والمقابل الذي أعنيه ليس مالا
وذهباً .. إنه مجرد دفع الحب وحنانه ..

اتخذ الحديث فجأة درباً ارتجالياً ، حينما قال في
غضب وعناد :

- لا بد لها أن تتخلى عن هذا الثراء لو أنها تريدني .

- ولماذا لا تتخلى أنت عن عنادك وتقبلها كما هي ؟

- الرجل يفقد رجولته أمام المرأة الثرية .

- هذا ما تتصوره أنت .

- من يملك المال يملك السيطرة .. هذا مبدأ تاريخي

معروف .

- إنك لا تفهم شيئاً عن أعماق المرأة .. المرأة

لا تطيع الرجل وتستكين له لجرد أنه يملك المال ،
وإلا لكان من الطبيعي أن تتركه إلى من هو أكثر منه
ثراء كما لو كانت سلعة تباع وتشتري .. المرأة تطيع
الرجل لأنه رجل .. ولأن رجولته تجبرها على طاعته ..
الجارية فقط هي التي تطيع صاحب المال ، لأنه قد دفع
ثمنها من ماله .. أما العلاقة بين زوجين يجب كل منهما
الآخر فأمر مختلف ، إنها علاقة يحكمها الحب .

صمت (أحمد) لحظة عند هذه النقطة ، ثم عاد يقول
في عناد :

- كل امرأة تملك ثراء يفوق زوجها تسعى إلى
السيطرة عليه .

هتفت في حق :

- إلا المرأة التي تحب .. إنها تشعر حينئذ بقوة

طاغية تجبرها على طاعة زوجها .. حتى لو كان لا يملك

شروي نقير ، وحتى لو كان عاجزاً مريضاً ، إنه لا يفقد

رجولته أبداً في نظرها ، ما دام يواصل منحها الحنان

والحب .

ظهرت الحيرة في ملامحه ، وتمتم في تخاذل :

— (ريهام) مصابة بعقدة المال .

صاحت في وجهه :

— أنت أيضاً مصاب بالعقدة نفسها :

هتف في دهشة :

— أنا ؟ !

صاحت :

— نعم يا (أحمد) .. إن (ريهام) مصابة بعقدة المال

حقاً ؛ لأنها ترى فيه الأمان والوقاية من الحاجة ، وأنت

مصاب بعقدة المال أيضاً ؛ لأنك تراه رمزاً للسيطرة

والقوة .. كلا كما يرى القوة في المال ، ولكنك تطلب

منها هي أن تحطم عقدها ، على الرغم من كونها أنثى

ضعيفة ، وترفض أنت تحطيم عقدةك ، بزغم كونك

رجلاً قوياً عنيذاً .. أخبرني بالله عليك ؛ أيكما أكثر

ضعفاً واستسلاماً لعقدة المال ؟

كانت (هالة) تهاجم أعماق شقيقتها في قسوة

وشراسة ، كجراح ماهر يستأصل مرضاً خبيثاً من جسد

مريضه ، دون تردد أو خوف ، ولكنه حاول أن يجمع

ما تبقى من عناده وهو يقول :

— إن طبيعتنا الشرقية ...

قاطعته في غضب :

— كنى تعليقاً لأخطائنا وعقدنا على شماعة طبيعتنا

الشرقية ، إن الطبيعة الشرقية الحققة تدعو إلى القوة والشهامة

والكرم ، لا إلى الخوف والعناد والجمود .. ثم هل تظن

أن ما فعلته مع (ريهام) في منزلنا يتناسب والطبيعة

الشرقية التي تتخفى خلفها ؟ والتي تدعو لكرم الضيافة ،

واقفاء الله — سبحانه وتعالى — في معاملة النساء الضعيفات ؟

فجرت كلماتها الندم في أعماقه ، وعمغم في صوت

واهن مستسلم :

— من يدريك أنها لن تحاول السيطرة بعد الزواج ؟

هزت (هالة) رأسها في قوة وحنق ، وقالت :

— إنك تحاكمها ، وتصدر عليها الحكم بالإعدام في

جريمة لم ترتكبها بعد .. حتى أقسى القوانين الجائرة في

أكثر البلاد الديكتاتورية لا تفعل ذلك .

أطرق برأسه وهو يتمتم :

— هناك جريمة تسمى الشروع في القتل .

قالت في حدة :



نعم ، ولكنها توجه لمن يضبط متلبساً بمحاولة القتل فقط .

انتهى النقاش فجأة كما احتدم ، ونجم على الغرفة جو من الصمت الثقيل ..

شعرت (هالة) بالندم على ثورتها لأول مرة في وجه شقيقها الوحيد ...

وشعر هو بالأسف لما كشفت شقيقته من نقائصه ...
شعر لأول مرة أنه ما من إنسان كامل في هذه الحياة ..
برغم بساطة هذه الحقيقة إلا أنها كانت غائبة عن عينيه طيلة حياته ..

تكشفت أخطاؤه كلها أمامه دفعة واحدة ..
كان يطلب من (ريهام) القوة ، وهو يعاني الضعف ..
كان يطلب منها التضحية ، وهو يأبى البذل والعطاء ..
اعتصر الندم قلبه وهو يكتشف كيف كان أنانياً ..
لقد فقد (ريهام) بسبب كبرياء زائف ، وعناد أحمق ، وأنانية تنقمص رداء الكرامة ..
إنه يستحق أن يفقدها .. يفقد حبه الوحيد .. (ريهام) .

١٢ - الصفة ..

انتهى والد (ريهام) من أداء صلاة الفجر ، واعتدل جالساً ، وتناول مصحفه لبدأ تلاوة القرآن كعادته ، ولكنه شعرياب غرفته يفتح ، وسمع وقع خطوات رقيقة تقرب منه ، فالتفت يتطلع إلى القادم ، ولم يستطع إخفاء دهشته حينما وقعت عيناه على وجه ابنته (ريهام) ، وأنبأته ملاحظها أنها تعيش قلقاً بالغاً ، ولكنه لم يحاول سؤالها عما يعترها ، وإنما اكتفى بابتسامة شاحبة وهو يشير إليها بالجلوس ، وأدهشته أن أطاعت إشارته في استسلام ، والتصقت به ، وكأنها تبحث عن الحنان والأمن في قربه ...

كان يعلم أنها تعاني الكثير ، ولكنه فضل أن يترك لها حرية الاعتراف بما يدور في أعماقها .. وصمتت هي طويلاً ، ثم قالت في صوت ينم عن حيرتها :

— لدى مشكلة تحتاج إلى مشورتك يا أبي .

تمتم ببعض الآيات القرآنية ، ثم قال في هدوء :

— إنني أفضل عدم التدخل في شئونك يا بنتي .

قالت في صوت مخنق :

- ولكنني أحتاج إليك يا أبي .

وفجأة تفجرت عيناها بالدموع ، وارتعد جسدها
وهي تبكي في قوة ، وكأنها تنفض عن نفسها كل الحزن
والحيرة في أعماقها ...

انفطر قلب والدها حينما رآها تبكي أمامه لأول مرة ،
ومد ذراعيه يحوط جسدها الضئيل في حنو بالغ ..
واستكانت هي في أحضانه ، وتركت العنان لمزيد من
دموعها الساخنة ..

كانت هذه هي المرة الأولى التي يمنحها فيها والدها
كل هذا الحنان والعاطفة الأبوية ...

وكانت المرة الأولى التي تشعر فيها بالأمان بين ذراعيه ...
أحبت هذا الشعور واستكانت له في استسلام وشوق
عمر كامل ..

ضاع منها في لحظة كل شعور اليم الذي لازمها طيلة
عمرها ...

شعرت في أعماقها بقوة جديدة .. بحرارة دافقة لم
تشعر بمثلها من قبل ..

أمسكت كف والدها ، ورفعتها إلى شفيتها ، وبللتها
بدموعها وهي تقبلها في امتنان ..

سألها والدها في حنان :

- ماذا يقلقك يا بنتي ؟ .. أفرغني قلقك وحيثك
في أذني .

وجدت نفسها تندفع لتخبره كل شيء منذ البداية ..
أخبرته عن لقاءها بـ (أحمد) .. عن حبها له ، وحيرتها
معه .. حدثته عن مشكلة حبها .. عن أحلامها وآمالها
ومخاوفها .. عن قلقها وأفكارها وحيرتها .. حدثته عن
كل شيء يموج في أعماقها ...

لم يقاطعها والدها مرة واحدة في أثناء حديثها .. اكتفى
بأن يربّت على كتفها مشجعاً في حنان ، كلما تهديج صوتها ،
أو أجهشت بالبكاء .. تركها تفرغ كل ما لديها حتى
انتهت ، ثم ران صمت عميق ..

رفعت (ريهام) عينيها إلى والدها تسأله رأيه في
سكون ، وتتمم هو بآيات قرآنية وهو يلف ذراعيه حولها
في رفق وحنان ، ثم مد أصابعه يجفف دموعها في أبوة
دافقة ، وابتسم في طيبة واضحة وهو يقول :

– بكاؤك و قدومك إلى حجرتي في مثل هذا الوقت
يؤكدان أنك قد تجاوزت مرحلة التخبط والحيرة يا بنيتي ،
وهذا يملأ قلبي فخرأ وسعادة .. فنذ زواجك من (عبد
الحميد) شعرت بالأسف والحيرة ، إذ كان تهافتك الشره
على المال يبعث في نفسي شعوراً مؤسفاً بأنني لم أنجح في
توفير حياة راضية لك ، برغم حرصى الدائم على ذلك
منذ طفولتك .

ظهر الأسى والندم في عينيها وهي تستمع إلى كلماته ،
وهو يواصل قائلاً :

– لقد كنت تشكين دائماً من احتفاظى بـحلتين
يتيمتين على امتداد الزمن ، ولكنك لم تسأل نفسك مرة
لماذا لم أحاول شراء حلة جديدة ؟

بدا التساؤل في عينيها ، وكأنها تستحنه على إجابة
السؤال الذى ألقاه لتوه ، ولم يدعها لفضولها طويلاً ،
إذ تابع في حنان :

– في كل مرة راودنى فيها الحنق ، ورجبت في
شراء حلة جديدة ، كانت أفكارى ومشاعرى تتجه كلها
إليك .. إلى ابنتى الشابة التى تتطلع في حسرة إلى ثياب

زميلاتها ، وفي كل مرة كنت أبتاع لك ثوباً جديداً بدلا
من حلة جديدة لى .. وكنت أشعر بسعادة غامرة حينما تطل
الفرحة من عينيك مع مرأى الثوب الجديد ، وفي كل
مرة ترتدين ثوباً جديداً كنت أزداد حباً وتعلقاً بالحلتين
القديمتين ، حتى أصبحت منى بمثابة عنوان لسعادتك
وفرحك .. كنت أملك القليل ، ولكننى كنت أمنحك
إياه عن طيب خاطر ..

احتضنته في حنان وحب ، وشعرت فجأة بحنان
شديد إلى ثيابها القديمة الرخيصة ، التى أصبحت في عينيها
الآن أكثر قيمة من الثياب الفاخرة الباهظة التى ترتديها ..
وتهدج صوت والدها وهو يستطرد :

– وعندما تزوجت (عبد الحميد) – رحمه الله –
شعرت بالعجز والإحباط .. شعرت أن ما كنت أتعذب
لأمنحك إياه لم يكن يشبع طموحك ، فانزويت بعيداً ،
واكتفيت بمتابعة حياتك وأنا أدعو الله – سبحانه وتعالى –
أن يهديك إلى السبيل القويم .. وبعد وفاة زوجك ازداد
شعورى بالعجز ، وتضاعفت رغبتى في العزلة بعد أن أقنا
معك هنا ، وأصبحت أنت الأمرة الناهية ..

فتحت فيها لتعلن ندمها ، وتعترف بخطئها ، إلا أنه
أسكتها بإشارة هادئة من أنامله ، وعاد يواصل قائلا :
- كنت أراك تنفقين في سهرة واحدة ما أحصل عليه
أنا من وظيفتي المرموقة طيلة عام كامل ، ولكنني رفضت
التدخل .. وحينما التحقت بكلية الآداب شعرت كما
شعرت أمك بفطرتها الطيبة أنك قد وقعت في مصيدة
الحب ، ولكننا لم نعترض ، كل ما فعلته هو أن دعوت
الله - سبحانه وتعالى - أن يظل حبك طاهراً شريفاً ..
ولقد استجاب - سبحانه - لدعائي ، وكان حبيبك رجلاً
شريفاً أميناً ..

غمغت وهي تزداد التصاقاً به :
- ولكنه يعذبني يا أبتاه ..

ابتسم الوالد في إشفاق ، وقال :

- كلا كما عذب الآخر كثيراً يا بنيتي .. إنها مأساة
جيلكم ، الذي ولد في عصر سيطرت فيه المادة ، وضاع
منه الحب ..

هتفت وكأنها تدافع عن حبا :

- ولكنني أحبه يا أبي .. أحبه حقاً .

هز رأسه في طيبة ، قائلاً :

- هو أيضاً يحبك يا بنتي ، ولكن كليكما يرفض
الاختيار .

رفعت عينيها إليه تسأله في ضراعة :

- هل أترك ثروتي من أجله ؟

أجابها في همس :

- وماذا صنعت لك الثروة يا بنتي ؟

تكشفت لها الآن جوانب أخرى من عالم الأرياء ،
جوانب حاولت كثيراً أن تتجاهلها ، أو أن المال الوفير
قد أعماها عنها ..

في هذه اللحظة فقط كرهت ثراءها ، وتمنت حياة
جديدة ، فيها من الدفء والحنان أكثر ما فيها من الذهب
والمال .

ورفعت عينيها إلى عيني والدها وهي تهمس :

- لماذا لم تمنحني كل هذا الحنان فيما مضى ؟

أطرق بوجهه مغمضاً في أسف :

- لقد أخطأت أنا أيضاً يا بنيتي .. وليغفر لي الله

ما سلف .

احتضنته في قوة وحب ، وهتفت في حنان :

– ليغفر لنا الله جميعاً يا أبى ..

وفي الصباح .. بعد أن ذهب والدها إلى عمله بدت هي هادئة واثقة ، بعد أن أفرغت كل ما يقلقها في جعبة أبيها ..

انتابها شعور جديد بالأمان والراحة بعد حديثهما في الفجر ..

وبدت أمها فرحة كما لو كانت قد شعرت بفطرتها بذلك التبدل الذي اعترى ابنتها ..

تناولت هي طعام إفطارها في سكون ، ثم انتقلت إلى الهاتف ، وطلبت رقم الأستاذ (وجدى) المحامى ، وما أن سمعت صوته حتى بادرت قائلة :

– صباح الخير يا أستاذ (وجدى) .. أريد منك أن تقابلني بعد ساعة واحدة في منزل (فوزية) .

سمعت يهتف في دهشة ، وكأنه لا يصدق ما سمعته أذناه :

– (فوزية) من ؟ !

أجابته في هدوء :

– (فوزية الدمنهورى) شقيقة زوجى الراحل ..

ساد الصمت لحظة على الجانب الآخر من الهاتف ،

ثم سمعته يتنحنح وهو يقول :

– هل يمكنكى أن أعلم سبب هذا اللقاء ؟

قالت في حزم :

– ستكون شاهداً على صفقة جديدة ، تنتهى بعدها

كل المشاكل .

بعد ساعة واحدة من هذا الحديث ، توقفت سيارة

(ريهام) أسفل منزل (فوزية) المطل على نيل مصر ..

ولم تكذب تهبط من سيارتها حتى توقفت إلى جوارها

سيارة المحامى ، الذى أسرع يصافحها في لطفة وتساؤل ،

ولم يستطع كتم فضوله وهو يسألها :

– أية صفقة هذه التى تنوين إبرامها مع (فوزية) ؟

أجابته وهي تتقدم إلى المصعد في هدوء :

– لا تتعجل يا أستاذ (وجدى) ستعلم كل شيء

في حينه .

لم تكن دهشة (فوزية) بأقل من حيرتها ، عندما

فتحت باب منزلها ، ورأت (ريهام) والأستاذ (وجدى)

على عتبته ، وبلغ ارتباكها حدًا جعلها تتأملها في صمت

هرع (فاضل) و (فتحى) إلى منزل شقيقتهما فور أن أبلغتهما عرض (ريهام) ، ولم ينجح أيهما في إخفاء انفعاله ولهفته ، وهما يحدقان في وجه (ريهام) انتظاراً لسماع عرضها ، وتولاها شعور بالرغبة في مد فترة لفتتهما ، إلا أنها لم تلبث أن ألفت هذا الشعور خلف ظهرها ، وقالت في هدوء :

- سبق أن عرضتم على نصف مليون جنيه نقداً ، مقابل تنازلى عن كل نصيبى في ثروة شقيقكم الراحل .

أسرع (فاضل) يقول :

- هذا صحيح .. وما زال عرضنا قائماً .

قالت في ببطء :

- لدى عرض أفضل .

تبادل الأشقاء الثلاثة نظرات قلقة ، ثم نعمم (فتحى) :

- دعينا نستمع إليه .

تركهم ينتظرون كلماتها لحظة ، ثم قالت دون أن

يزايلها هدوءها :

دقيقة كاملة ، إلى أن قال الأستاذ (وجدى) وهو يتظاهر بالمرح :

- هل سنظل هكذا طويلاً ؟

أفاقت من دهشتها ، وأسرعت تدعوها للدخول ، وابتسمت (ريهام) في سخرية عندما لمحت أعقاب السجائر العديدة ، التى تملأ المنفضة ، ولم تخف عليها محاولة (فوزية) المرتبكة إخفاء علبة سجائرهما ، وظلت ساكنة جامدة الملامح ، حتى هدأت نفس (فوزية) ، واتخذت مقعداً مقابلاً ، وهى تتأملهما فى قلق ، قائلة :

- خيراً .. ما الذى دفعكما إلى هذه الزيارة المبكرة ؟

اعتدلت (ريهام) فى كبرياء وهى تقول :

- هل تذكرين تلك الصفقة التى أتيتم تعرضونها فى

الفيلا ؟

أومأت (فوزية) برأسها إيجاباً ، وقد ازداد فضولها

اشتعالاً ، على حين واصلت (ريهام) فى هدوء :

- لقد جئت أعرض عليكم صفقة أكثر ربحاً ..

أكثر ربحاً بالنسبة لكم بالطبع .

– إننى أعرض التنازل عن نصف المليون جنيه مقابل
خمسين ألف فقط .

تطلع إليها الأشقاء الثلاثة في ذهول ، وكاد قلب المحامى
يتوقف من المفاجأة ، على حين أردفت هى في بطاء :
– والفيلا .

هتفت (فوزية) فى سخط :

– الفيلا ؟ ! .. كلا .. إننا نرفض هذا العرض .

حدجها شقيقها (فاضل) بنظرة صارمة ، على حين
أسرع المحامى يقول :

– السيدة (ريهام) تقصد نصف مليوناً من الجنيهات
إلى جوار الفيلا و ...

قاطعته (ريهام) فى حزم :

– كلا يا أستاذ (وجدى) ، إن ما أطلبه هو الفيلا ،
وخمسين ألف جنيه فقط .

انفجرت (فوزية) صائحة :

– لن نحصل على فيلا أخى الراحل ، ولو مقابل
عشرة ملايين جنيه .

صاح (فاضل) فى غضب :

– صمتاً يا (فوزية) .

ثم نهض فى حدة ، وجذبها من ذراعها ، مستطرداً :

– أريد أن أتحدث معك وحدنا .

تبعته فى غضب بعد أن ألقت نظرة ساخطة على

(ريهام) ، وتردد (فتحى) لحظة ثم لحق بهما فى لطفة ،

وترك (ريهام) والمحامى وحدهما فى حجرة الصالون ،

ولم يكذ (فتحى) يغيب عن ناظرهما ، حتى قال الأستاذ

(وجدى) فى ضيق :

– لماذا لم تلجئى إلى استشارتى قبل عرض هذه

الصفقة ؟ .. كان يمكننا الحصول على عرض أفضل .

قالت فى صرامة :

– كنى يا أستاذ (وجدى) ، إننى لن أحصل مطلقاً

على ما هو أفضل من ذلك ، لقد حاولت حساب كل

ما أنفقت منذ وفاة (عبد الحميد) ، وواجهتني حقيقة

مؤلمة ، وهى أننى أنفقت كل نصيبى الشرعى تقريباً ،

وهذا يعنى أنه لم يعد أمامى سوى التخلي عن أحلامى

ومستقبلى ، والاكتفاء بإيراد المليون جنيه ، أو هذه

الصفقة ، صدقتى إننى الراجحة فى النهاية .

قال في ضيق :

— ولكنهم يعلمون هذا أيضاً ، وسيحاولون الحصول على شروط أفضل .

ابتسمت في مرارة وهي تقول :

— بل سيوافقون يا أستاذ (وجدى) .

أشاح بوجهه ، قائلاً :

— أشك في هذا .

انحنت نحوه ، وقالت :

— اسمع يا أستاذ (وجدى) ، ربما تكون محامياً بارعاً ،

ولكنك لا تفهم هؤلاء القوم كما أفهمهم أنا .. إن المليون

جنيه ستطير صوابهم ، وسيتلهفون على الحصول عليها بأى

مقابل ، ثم إنهم يعلمون أنه في استطاعتي الاحتفاظ بكل

شئ إلى أمد طويل ، ولن يطيقوا صبراً من أجل ذلك .

ثم اعتدلت ، مستطردة :

— سترى أن الجشع سيعميهم ، وأنهم سيقبلون .

تطلع إليها المحامى لحظة ، ثم اعتدل وقال وهو يشيح

بوجهه ليؤكد عدم رضائه :

— سترى .

في نفس اللحظة كانت (فوزية) تقول في منحنى :

— لن أترك لها الثيلا .. إننى أحلم بسكناها منذ وفاة

(عبد الحميد) ، لقد كنت أحسده دوماً على هذه الثيلا الرائعة .

وغمغم (فتحى) في تردد :

— إن الثيلا تساوى نصف مليون على الأقل .

صاح (فاضل) في حنق :

— كفى غباء .. إن العرض الذى تتقدم به هذه

الحمقاء مناسب للغاية ، فلنفرض أن الثيلا تساوى نصف

مليون ، إن هذا يجعلها تعرض ما يزيد عما سبق أن عرضناه

بخمسين ألف فقط ، وأنا أراها صفقة رابحة .

هتفت (فوزية) :

— أى ربح في هذا ؟

أمسك ذراعها في قوة وهو يقول غاضباً :

— أينها الغيبة ، إن النقود تفقد الكثير من قيمتها مع

مرور الوقت ، ومليون جنيه نتقاضاها نقداً الآن ، يمكنها

أن تفعل أكثر ما يمكن أن تفعله أخرى نتقاضاها بعد

ثلاث سنوات مثلاً ، وقضايا الميراث هذه تستغرق في

العادة مثل هذا الزمن .

جذبت (فوزية) ذراعها من قبضته ، وقالت في حدة :

— ولكن الفيلا ..

قاطعها قائلاً :

— لو أننا استثمرنا مليوناً من الجنيهات لعام واحد ،

لأمكننا شراء فيلا أخرى تفوقها روعة ، صدقيني إنها

صفقة رابحة .

نعمم (فتحى) :

— هذا صحيح .

ساد الصمت لحظة بين الأشقاء الثلاثة ، ثم قالت

(فوزية) في عناد :

— لن أدفع لهذه الحقيبة خمسين ألفاً دفعة واحدة .

قال (فاضل) في صرامة :

— بل سندفع مائة ألف لو طلبت ذلك ، لأننى المسئول

عن إدارة روتنا ، وأنا أوافق على ما عرضته ، وأرى أنه

يحقق لنا المزيد من الفائدة .

عضت شفتيها في قهر ، وقالت :

— ومن أدراك أنها لن تراجع عن عرضها هذا ؟

ابتسم في خبث وهو يقول :

— لن نمنحها فرصة لذلك .

عاد الثلاثة إلى الصالون ، واتخذوا مقاعدهم في

صمت ، وأشاحت (فوزية) بوجهها وكأنها تعلن رفضها

للصفقة ، على حين قال (فاضل) في هدوء :

— إننا نوافق على هذا العرض ، بشرط واحد .

سألته (ريهام) وهى تبسم في هدوء :

— أى شرط هذا ؟

أجابها وهو يرمقها بنظرة فاحصة :

— أن يتم كل شيء على الفور .

ابتسمت (ريهام) وهى تقول :

— هذا ما عزمت عليه ، ولقد طلبت من الأستاذ

(وجدى) الحضور لهذا السبب بالذات .

تناول (وجدى) حقيبة أوراقه في استسلام ، وقال :

— سيحتاج هذا إلى تنازل منكم عن قضية الفيلا ،

وتنازل السيدة (ريهام) عن قضية رفض الوصية ،

ثم تنازل منها عن نصيبها فى الثروة و ...

قاطعته (ريهام) قائلة :

— اتخذ كل الإجراءات القانونية يا أستاذ (وجدى) .

أخرج (فاضل) دفتر شيكاته ، ولوح به كأنما يعلن
استعداده لإنهاء الصفقة على الفور ، وقال :
— هل تريدن الشيك لحامله أم .. ؟
قاطعته وهي تقول في لهجة توحى بالفخر :
— سيكون عقد الفيلا والشيك باسم والدي ، الأستاذ
(فتح الله حسين) .

شملمها شعور بالارتياح الجارف وهي تقود سيارتها في
طريق عودتها إلى الفيلا ، وتمحست عقد شراء الفيلا
والشيك في حقيبتها عدة مرات طوال الطريق ..
كانت تشعر بالفرح لأنها تمكنت أخيراً من منح والدها
ما يستحقه ، بعد ما عاناه طيلة عمره في محاولة إسعادها ..
منحته الفيلا اعترافاً منها بجميله وتضحيته ..
ومنحته خمسين ألفاً من الجنيهات لينعم بالعيش الرغد
في سنوات كهولته ...
أما هي فستعيش في كنفه راضية ..
سيرقص قلبها فرحاً كلما ابتاع لها ثوباً جديداً ..
وستقبل كفيه كل صباح ومساء ..

كان لقاءها الأخير معه في الفجر قد محاً من نفسها
كل شعور باليتم والوحدة ..
ستنعم أخيراً بحنان العائلة ودفتها ..
ستعود لمعاونة أمها في نظافة الفيلا ..
ستعود للعناية بأشقائها ...
انتقلت أفكارها إلى (أحمد) ، وتسلس الحزن إلى قلبها ..
ترى هل يقبلها زوجة بعد أن تخلت عن كل شيء ؟ ..
ترى هل يعود إليها بعد أن ألقت كل شيء من أجله ؟ ..
رأته بعين الخيال يتقدم لخطبتها من والدها ، ورأت
نفسها تطرق خجلاً في فرح وسعادة ، ووالدها يسألها في
طيبة عما إذا كانت تقبل (أحمد) زوجاً لها ..
تصورت (أحمد) يتناول كفيها الرقيقة في راحته ،
ويبتسم في وجهها بكل الحب والحنان ، ثم يضع (دبلة)
خطبته في إصبعها ..
تملكها الخيال حتى أن قلبها رقص فرحاً ، وسرت
النشوة في عروقها ، وأغمضت عينيها لتترك لأحلامها العنان ..
أغمضت عينيها وهي تقود سيارتها وسط شوارع
القاهرة المزدهمة ..

لكل شيء نهاية .. ولكل قصة ختام ..
 قد تأتي النهاية كما نشتهي .. أو يختار القدر الختام ..
 ولكننا أبدأ ودائماً نستسلم للاختيار ، ونخضع لرغبات
 القدر ..
 هذا ما دار بذهن (ريهام) وهي تجتاز في ببطء بحر
 الظلام الذي يحيط بها ..
 كانت هناك غشاوة ثقيلة تنجاب عن عقلها في
 هدوء .. وانتابها شعور بالراحة والاستسلام ..
 لم يخالجها شك في أنها قد لقيت مصرعها .. وتمنت
 لو أنها ذهبت إلى جنة العشاق ، حيث تنتظر وصول حبيبها
 (أحمد) ، وتعد له المكان بلمساتها وذوقها ..
 لم تشعر بالخوف من الموت .. ولم ترهب ترك الحياة .
 كل ما شغل تفكيرها هو متى تلتقي بـ (أحمد) في العالم
 الآخر ..
 خيل إليها أنه يجلس بقربها ، ويهمس في أذنيها كلمات
 الحب والهيام ..

وانطلق صراخ المارة عندما رأوها تندفع بسيارتها
 نحو سيارة (أتوبيس) ضخمة ..
 وانتهت هي على صراخهم ، وفتحت عينيها في فرع ،
 وحاولت أن تضغط (فرامل) سيارتها في قوة ، ولكنها لم
 نجد ما يكفي من الوقت لذلك ..

وكان صداماً رهيباً ارتجفت له قلوب المارة ..
 وسقطت (ريهام) في بئر مظلمة عميقة .. لا قرار لها .



وتألق خيالها حتى باتت تسمع همساته في وضوح ..
ازداد شعورها بالراحة والامتسلام .. ولم يعد يخالجه
شك في موتها ..

فهذه هي الجنة كما تصورتها ..

كل مخلوق يمكنه تحقيق أحلامه هناك ..

تملكتها رغبة في التمتع بميزة تحقيق الأحلام التي
تتمتع بها في الجنة ، فتمنت لو أن (أحمد) احتوى كفها
بين راحتيه ..

أدهشها الشعور الذي تلا ذلك ، فقد شعرت وكأنه
يلتقط كفها حقاً ويضمها براحتيه في حب وحنان ..

شعرت بحرارة يده تسرى في كفها ..

يا لها من رائعة هذه الجنة !! حيث لا مال ولا خداع ..

لأنها تتمتع فيها بكل ما عجزت عن نيله في الدنيا ..

سيطر عليها النشوة حتى تساءلت : ما الذي يمكن
ان تراه لو فتحت عينيها ؟ ..

هل سترى بساتين الخلود وأنها الحمر وملائكة الحب ؟

أم ترى أمامها منزلاً صغيراً يضمها وحبیبها (أحمد) ؟ ..

منزل تحيط به أزهار الحب ، التي ترويها أنهار الحنان .

وبلغ فضولها ذروته ، فبدأت تفتح جفنيها في ببطء ..
بدأت الصور مهتزة في البداية أمام عينيها .. وأغشى
الضوء بصرها عدة لحظات ، ثم لم تلبث الصورة أن
اتضححت في ببطء ، وخفق قلبها في لهفة وحب ..

لم تكن أمامها بساتين العشق ..

ولا أنهار الحمر ..

كان أمامها وجه تفوق ملامحه كل متع الدنيا ..

كانت ترى وجه (أحمد) بوسامته ، وعينيها

العميقتين ، وحنانه الدافق ..

عادت تغلق عينيها وهي تهمس :

- يا لها من متعة هذه الجنة !! كل الأحلام تتحول

فيها إلى حقائق .

انفض جسدها حينما سمعت صوته الحنون القوي يقول :

- بل هي الدنيا يا حبيبتى .. الدنيا التي وهبها لك

الخالق مرة أخرى .

فتحت عينيها عن آخرها في دهشة ، وتطلعت إلى

ملامحه الجذابة .. وتنبهت فجأة إلى عيون أخرى تحيط

بوجهه ، وتأملها في لهفة ..

رأت وجه والدها ، ووالدتها ، وأشقاؤها ..

رأت وجه والد (أحمد) ، ووالدته ، وشقيقته (هالة) ..

هتفت في همس :

- (أحمد) !!

انحنى على وجهها وهمس بصوت يحمل كل الحب :

- حبيبتى .

انحدرت من عينيها دموع الفرح ..

لم تصدق أنها ما زالت في الدنيا ..

لم تصدق أنه هنا إلى جوارها يهمس في أذنيها بحبه ..

تطلعت إليه بدموع صامته ، على حين أجهشت والدتها

بالبكاء وهي تحتضنها ، وترقرقت دموعه حنون في عيني

والدها وهو يقول :

- حمداً لله على سلامتك يا بنتى .

سألتهم في دهشة :

- هل نجوت ؟ !

قالت والدة (أحمد) وهي تربت على كتفها في حنان :

- لقد كان الحادث بشعاً ، ولكن الله - سبحانه

وتعالى - لم يقدر لك أن تفارقينا يا بنتى ، وكل ما أصابك

بضع خدوش وكدمات ستزول سريعاً بإذن الله .

همس (أحمد) وهو يتطلع إلى وجهها في حنان :

- ما كنت أحتمل هذا النوع من الفراق .

تأملته في حب ، ثم أدارت عينيها إلى والدها ،

وسألته في لطفة :

- حقيقتى .. هل وجدتموها بعد الحادث ؟

ابتسم والدها في حنان ، وقد فهم مغزى سؤالها ، وقال :

- نعم يا بنتى .. لقد وجدنا الأوراق ، وفهمنا كل شيء .

عادت تنقل عينيها إلى (أحمد) ، وتغوص في حنان

عينيها ، وتبادل الآخرون نظرات تؤكد أنهم قد فهموا ،

فتنحى الوالد ، وقال :

- سننتظر في الخارج .

غادر الجميع الحجر ، وعند الباب ترددت (هالة)

لحظة ، ثم عادت أدراجها إلى حيث ترقد (ريهام) ،

وانحنى تقبل وجنتها في حب ، ثم ابتسمت ابتسامتها

الجدابة وهي تقول :

- حمداً لله على سلامتك .

ثم أسرع تغادر الحجر ..

التقت عينا (أحمد) و (ريهام) ..
أطل الحب دافقاً جارفاً ..
ضغط كفها في رقة بين راحتيه ..
استكانت لحنانه الوفير في سعادة ..
همس في حب :

— ساعيني على كل ما سيبته لك من آلام .
يطلب منها أن تسامحه وهو لا يدري أنها قد غفرت له
منذ زمن طويل ..

إنها تحبه .. والحب هو المغفرة ..
مدت كفها تداعب شعره في رقة ، وابتسمت في
ارتياح ، فعاد يهمس في حب :
— لقد كنت أنانياً و ..

مست شفتيه بأناملها ، وكأنها تطلب منه الصمت ،
وابتسمت ..

انتقل الحب عبر بساطهما ، وامتلاً قلباهما بالهوى ،
واكتفى كل منهما بتأمل الآخر طويلاً ، قبل أن تهمس هي :
— لقد تخليت عن كل شيء .

أجابها :

— وأنا أيضاً .

ابتسمت ، وقالت :

— سنتزوج في شقة والدي القديمة .. إنها ليست بالغة
الأناقة ، ولكن إيجارها رخيص يناسب زوجين في بدء حياتهما .

استمر يتطلع إليها في حنان ، فواصلت قائلة :

— ويمكننا أن نحفظ بأثاثها و ..

رفع أصابعه أمام شفيتها يطلب منها الصمت ، فأطاعته
وهي تبسم ، وقد ازداد شعورها بالراحة والأمن إلى جواره ..

انحنى على أذنها ، وهمس في هيام :

— أحبك ..

تهدج صوتها وهي تهمس :

— أنا أيضاً أحبك .

ثم ابتسمت في رقة وهي تداعب وجته بأناملها ،
هامسة في عتاب :

— كنت سنتزوج أخرى .

أطرق في خجل ، وقال :

— كانت فكرة حمقاء ، وأدها حبك في مهدها .

تطلعت إلى ملامحه في حنان ، فتناول كفها الرقيقة

بين راحتيه ، وفوجئت به يحيط لإصبعها بدبلته ، فتطلعت
إليه بخليط من الدهشة والفرح ..
فاضت مشاعرها بالحب ..
وهتفت أعماقها .. إنها الجنة ولا ريب ..
حيث تتحقق أحلام العشاق ..
وتندفق أنهار الحنان ..
حيث تنبت زهور الحب ..
ويروها بحر الأمل ..
تأملت ابتسامته التي تتسع في حب وحنان ..
وسبحت في بحر عينيه العميقتين ..
وسمعته يهمس :

– (ريهام) .. هل تقبليني زوجاً .

همست وهي تحتضنه بعينها في سعادة :

– وهل تسألني ؟ .. إنني أدخر حبي منذ مولدى ..

أدخره من أجلك .. من أجلك وحدك .

وامتلاً المكان بعبير الحب

* * *

تمت بحمد الله